مجلة الهندسة والتنمية المستدامة

www.jeasd.org
المجلد 22, العدد01,كانون الثاني 2018
ISSN 2520-0917

التواصل في عمارة جامع المرادية

د. پريزات قاسم حسين فهمي[1]

مدرس, قسم هندسة العمارة, الجامعة التكنولوجية, بغداد, العراق

الخلاصة: يعد جامع المرادية في بغداد, والذي يعود تاريخ انشائه الى 978هـ/ 1570م, من أوائل الجوامع التي شيدت في بغداد خلال فترة الحكم العثماني للعراق, حيث لاتزال آثارها باقية لحد الآن مع احتفاظها بنظام تخطيطها وعناصرها المعمارية الأصلية. يحاول البحث الحالي إستكشاف التواصل في عمارة هذا الجامع, ولذلك حدد البحث مشكلته بغياب معرفة واضحة عن التواصل –إن وجد- على مستوى خصائص المفردات والمكونات المشكلة لعمارة جامع المرادية. فكان هدف البحث وضع تصور واضح عن التواصل -إن وجد- والتغير في مسيرة التواصل -إن تحقق- وذلك على مستوى مكونات عمارة جامع المرادية. ولتحقيق الهدف وضع البحث منهجا تألف من ثلاثة مراحل, هي: بناء اطار نظري لدراسة التواصل في عمارة جامع المرادية, أولا. وتطبيق مفردات الإطار على عمارة الجامع, ثانيا. وطرح الإستنتاجات والتوصيات. أخيرا. وقد استند التطبيق على مجموعة خطوات, الأولى تمثلت بانتخاب مكونات الجامع التي سيتم تقصي التواصل فيها. والثانية تضمنت التحليل المقارن لخصائص المكونات المنتخبة في جامع المرادية مع خصائص نفس المكونات في العمارة المحلية السابقة – لاسيما عمارة الجوامع والمساجد- ومع خصائص نفس المكونات في العمارة العثمانية الأناضولية. وقد توصل البحث أخيرا الى جملة استنتاجات أبرزها ان مكونات عمارة جامع المرادية المنتخبة للتطبيق بشكل عام أظهرت تواصلا مع مكونات العمارة العراقية السابقة لجامع المرادية, ولاسيما عمارة الجوامع والمساجد العراقية العائدة للقرون 6-8هـ.

الكلمات الدالة: *التواصل, التغير, نمط التخطيط, مكونات عمارة الجامع, التحليل المقارن.*

Continuity in the Architecture of Al-Muradiya Mosque

Abstract: Al-Muradiya Mosque in Baghdad which was built in 1570 AD/987 AH is considered one of the earliest mosques built in Baghdad during the Ottoman rule of Iraq where its traces are still seen, keeping its planning system and original architectural elements.The present research tries to explore continuity in the architecture of this Mosque. Therefore, it defines the research problem in the lack of clear knowledge about continuity, if it exists, at the level of characteristics of vocabulary and components of architecture of Al-Muradiya Mosque. So the aim of the research is to set up a clear vision on continuity, if it exists and the changes in continuity progress, if it took place. To achieve this goal, the research adopted an approach consisting of three stages. First, a theoretical framework is built to study the continuity. Second, the items of framework are applied to the architecture of the Mosque. Third, conclusions and recommendation are given. The application is based on a number of steps. In the first step, the Mosque components in which continuity is sought are selected. The second step involves making a comparative analysis of the characteristics of the selected components for Al-Muradiya Mosque with the characteristics of the same components in previous local architecture especially the architecture of mosques and the same components in Ottoman architecture in Anatolia. The research reached a number of conclusions the most important of which are the selected Muradiya Mosque components show in general continuity with Iraqi architecture previous to Al-Muradiya Mosque especially the architecture of Iraqi mosques of 6th to 8th centuris A.H.

Keywords: *Continuity, change, planning type, mosque architecture component, comparative analysis***.**

[1] الباحث المتابع parisalihi@yahoo.com

1. المقدمة

تعد بغداد إحدى المدن الغنية بإرثها المعماري,وتمثل مساجدها التي شيدت خلال فترة الحكم العثماني جانبا مهما من هذا الإرث, يبرز من بينها جامع المرادية الذي يحاول البحث إستكشاف التواصل في عمارته. وتكمن أهمية الموضوع في خصوصية فترة الحكم العثماني للعراق وماقد يتبادر للذهن من تساؤلات حول وجود تأثير للأجنبي على تواصل خصائص العمارة العراقية في أنماط أبنية الفترة, وبخاصة أن الجوامع كانت تشيد عادة برعاية الولاة الأجانب أنفسهم, إضافة الى خصوصية جامع المرادية كونه من أوائل الجوامع التي شيدت خلال تلك الفترة والتي لاتزال آثارها باقية مع احتفاظها بتخطيطها وعناصرها الأصلية, على الرغم من عمليات الصيانة التي أجريت لها في فترات مختلفة, مما يمكن من دراستها علميا وزيارتها ميدانياً, وأخيرا ما أظهرته الطروحات حول عمارة الجامع من تضارب في الآراء حول كون بعض المكونات المعمارية للجامع تشكل تواصلا مع تقاليد عمارة المنطقة أم لا.

2. الدراسات السابقة حول التواصل في عمارة جامع المرادية

أمكن تصنيف الطروحات التي تطرقت لجامع المرادية ولعمارته الى ثلاثة مجاميع وكما يلي:

أ. الدراسات التاريخية: تناولت باسلوب وصفي وعام جوانب تاريخية تخص الجامع مع وصف مقتضب لتخطيطه العام وأبرز عناصره كطروحات الآلوسي[1] وعبد الحميد عبادة[2]. أما الأنصاري [3] فأكد عدم تأثر مساجد بغداد خلال العهد العثماني بالطرز والأساليب المعمارية العثمانية, مستدلا عبر مقارنة عامة وصفية غير مدعمة بأدلة علمية لجوانب تخص نمط التخطيط في كلا الطرازين إستمداد أصول المساجد العراقية من ماضيها وما إنتقل اليها بفعل التحضر, وأن الخصوصية العراقية للمساجد في تلك الفترة تحققت باستخدام مواد وأساليب البناء المحلية.

ب. الدراسات الآثارية: تناولت بالوصف عمارة الجامع من وجهة آثارية ضمن دراسة لمنشآت عراقية مختلفة. فدراسة عيسى سلمان وآخرون[4] أكدت ان الترميمات والتجديدات لمبنى الجامع خلال فترات مختلفة لم تؤثر على تخطيطه وعمارته, وأن الجامع وبخاصة مصلاه صار نموذجا لعدد من مساجد ق6هـ وماتلاه. أما القصيري[5] فتناولت اضافة للوصف جوانب تتعلق بأصول العناصر والمفردات المعمارية للجامع بتتبعها في تقاليد العمارة العراقية وغير العراقية. وأشارت الباحثة الى تميز مساجد بغداد في العهد العثماني بخصائص بغدادية في الشكل العام ومواد وطرق البناء, مؤكدة التأثير القليل للعمارة العثمانية على العمارة المحلية, إلا أنها لم تنكر وجود بعض التأثيرات المعمارية التركية.وقد أوضحت الدراسة ان مكونات الجامع التي أظهرت اتجاهات جديدة مغايرة لما سبقها من تقاليد معمارية عراقية هي:التخطيط المركزي والقبة الشبيهة بقباب اسطنبول والتسقيف بالقباب وأنصافها...الخ.

ت. الدراسات المعمارية: ومن أبرزها دراسة شذى العامري [6] والتي تقصت التواصل بشكل خاص وذلك في عمارة وادي الرافدين خلال الحقب المتعاقبة ولغاية مطلع القرن العشرين وذلك عبر دراسة أنماط وظيفية متنوعة, وكان جامع المرادية من ضمنها. أما دراسة صبحي ساعتجي Subhi Saatçi [7] تناولت بعمومية أعمال المعماري سنان في بغداد ذاكرا من بينها جامع المرادية والتي توصل بعد وصفه لها أنها تعكس الأسلوب الخاص بسنان ولاسيما على مستوى التخطيط ليستنتج إمكانية القول بوجود تصميم يعود لسنان في بغداد, بينما هدفت دراسة ياسمين قصي [8] الى إستقراء وتحليل طرز معمارية امتدت من أواخر العصر العباسي وحتى نهاية الفترة العثمانية وذلك لأنماط أبنية متنوعة معرفة مدى تأثير بعضها ببعض, وكان جامع المرادية من ضمن أنماط الأبنية المدروسة.

ومن خلال المراجعة النقدية للدراسات السابقة أمكن تأشير الملاحظات التالية:

- عدم توفر دراسة متخصصة عن التواصل على مستوى مفردات ومكونات جامع المرادية بشكل خاص.
- على الرغم من تناول بعض الدراسات جامع المرادية من ضمن الابنية التي استقصت من خلالها التواصل في العمارة العراقية, وعلى مستوى مفردات مختلفة, إلا أن النتائج التي توصلت لها وبحكم أهدافها البحثية الخاصة إتسمت بالعمومية والشمولية ولاتزود بمعلومات دقيقة ومتخصصة بعمارة جامع المرادية بشكل خاص.

- عدم وضوح ودقة الآراء أحيانا وتضاربها في أحيان أخرى, سواء على مستوى الدراسة الواحدة أو بين الدراسات, حول التواصل على مستوى مكونات جامع المرادية, فهناك من عد طراز عمارة الجامع ذو مقومات وجذور عراقية أصيلة وأن تأثير العمارة العثمانية على العمارة العراقية, ومن بينها عمارة جامع المرادية, قليل, في حين ظهرت طروحات أظهرت وجود مكونات أو مفردات جديدة أو متغيرة في هذا الجامع بتأثير تقاليد معمارية أجنبية, ووصل الأمر لدى البعض الى حد عد الجامع أحد التصاميم العائدة للمعماري سنان.

في ضوء ماسبق من طروحات ومشاكل معرفية تبلورت مشكلة البحث وحددت أهدافه ومنهجه, وكما يلي:

3. تحديد مشكلة البحث وهدفه وفرضيته ومنهجه

تمثلت المشكلة البحثية بـ: "غياب معرفة واضحة عن التواصل –إن وجد- على مستوى خصائص المفردات والمكونات المشكلة لعمارة جامع المرادية". أما هدف البحث فتمثل بـ: "وضع تصور واضح عن التواصل -إن وجد- والتغير في مسيرة التواصل -إن تحقق- وذلك على مستوى مكونات عمارة جامع المرادية". أي إيضاح ما إن كان هناك تواصل في خصائص مكونات عمارة جامع المرادية التي سيتم إنتخابها للدراسة مع خصائص مكونات العمارة المحلية السابقة لجامع المرادية ولاسيما عمارة الجوامع, وتشخيص المكونات المعمارية التي حققت هذا التواصل وخصائصها -إن وجدت- وذلك من ضمن المكونات المنتخبة للدراسة, وإن حصل التغير في مسيرة هذا التواصل فعلى مستوى أي مكون معماري للجامع حصل ؟ وماهي خصائصه؟ مع دعم كل ذلك بأدلة علمية.

وبالنسبة لفرضية البحث فتتمثلت بـ: " أن خصائص مكونات عمارة جامع المرادية (على مستوى نمط التخطيط والعناصر المعمارية الرمزية –الأساسية والانشائية) تظهر بشكل عام تواصلا مع خصائص المكونات والمفردات في العمارة المحلية السابقة لجامع المرادية, ولاسيما عمارة الجوامع والمساجد, وأن هذا التواصل أقوى وأوضح مع خصائص مكونات عمارة الجوامع والمساجد العراقية العائدة للفترة مابين القرنين السادس والثامن الهجريين مقارنة مع خصائص مكونات عمارة الجوامع العراقية والعائدة للقرون الهجرية الخمسة الأولى للهجرة ".

وأخيرا إعتمد البحث منهجا تألف من الخطوات التالية:

1- بناء اطار نظري لدراسة التواصل في عمارة جامع المرادية وذلك باتباع الخطوات التالية:
   أ- تحديد تعريف اجرائي لمفهوم التواصل في عمارة الجوامع والمساجد.
   ب- تحديد (انتخاب) مكونات جامع المرادية التي يمكن استخدامها في استقراء وتقصي التواصل في عمارتها.
2- التطبيق على عمارة جامع المرادية باتباع خطوات التحليل المقارن التالية:
   أ- تحديد خصائص مكونات عمارة جامع المرادية المنتخبة للدراسة والعائدة للجامع خلال الفترة التي شيد فيها وذلك بالاعتماد على الدراسات السابقة وكذلك على جمع المعلومات ميدانيا وتوثيقها.
   ب- تحديد خصائص نفس المفردات والمكونات المنتخبة للدراسة في العمارة العراقية السابقة - وبخاصة عمارة الجوامع- منذ ظهورها ولغاية وقت بناء جامع المرادية وذلك بالإعتماد على الدراسات السابقة.
   ت- مقارنة خصائص مكونات جامع المرادية المنتخبة مع خصائص نفس المكونات في العمارة العراقية السابقة –لاسيما عمارة الجوامع والمساجد.
   ث- تحديد خصائص المكونات المنتخبة على مستوى الجوامع العثمانية في مركز الحكم العثماني- الأناضول.
   ج- مقارنة خصائص المكونات المدروسة في جامع المرادية مع خصائص نفس المكونات في الجوامع العثمانية والتي تم تحديدها في الخطوة ث أعلاه.
   ح- طرح نتائج التحليل المقارن على مستوى كل مكون تم إنتخابه ودراسته.
3- أخيرا طرح الإستنتاجات النهائية والتوصيات.

4. بناء الإطار النظري لدراسة التواصل في عمارة جامع المرادية

1.4. تعريف التواصل Continuity

التواصل لغويا: جاء في لسان العرب "وَصَلْت الشيء وَصْلاً وَصِلةً، والوَصْلُ ضِدُّ الهِجْران. ...الوَصْل خلاف الفَصْل. ...واتَّصَلَ الشيءُ بالشيء: لم ينقطع. ...". [9] أما التَواصُل فاسم, وتواصلتِ الأشياء: أي تتابعت ولم تنقطع. واصل الشيَّ: داومَه وواظب عليه بدون إنقطاع. [10] أما قاموس أوكسفورد Oxford فيعرف التواصل Continyity بأنها تعني:[11] الوجود الثابت وغير المنقطع لشئ ما عبر الزمن, أو حالة الإستقرار وغياب الإخلال أو التشويش, أو إتصال أو خط تطور يخلو من إنقطاعات حادة. كما يرى قاموس ويبسترWebster [12] بأنها تعني الصلة, التتابع, أو الإستمرارية غير المنقطعة بدون تغير أساسي.

أما التواصل إصطلاحا: أشارت الدراسات الى علاقة التواصل والتغير بالزمن وبفترة حدوث التواصل والتغير وبالتتابع, بالإضافة الى تواجد العتبة المؤقتة بين التواصل واللاتواصل والتغير.[13] أما جنان عبد الرزاق فطرحت مستويين للتواصل في العمارة, هما: التواصل الفكري - المفاهيمي, ويعتمد على استقصاء ومحاكاة القيم والأبعاد الفكرية الكامنة خلف الأشياء, ويتحقق على مستوى النمط. والتواصل الفيزياوي, ويعتمد على مخاطبة الخبرة الحسية للمتلقي باستخدام استعارات مباشرة ورموز متداولة, و يتحقق على مستوى الأنموذج المجسد للنمط. [14]

عموما سيركز البحث الحالي على التواصل الفيزياوي-المادي مع التقاليد المعمارية.

أما بالنسبة للتغير فقد عرفته زنكنة بأنه: "عملية الإنتقال من حالة لأخرى تحدث على مستوى شكل أو طبيعة أو خاصية الشئ وتكون إما بالإنتقال التدريجي عن الحالة الأولى (الإنتقال مع بقاء الإرتباط مع الأصل) ويطلق عليه (تحول) أو بالإنتقال الكلي الى الحالة الأخرى الجديدة فتسمى (تبدل)".[15] وبذلك فان التغير في البحث الحالي يعني التبدل أو الإختلاف سواء في الشكل أو الطبيعة أو الخاصية, لذا فهو يتمثل بالنوع الثاني الذي طرحته زنكنة والذي يتضمن الإنتقال الى الحالة الجديدة عبر الإبتعاد عن الاصل وضعف أو تشويش أو انقطاع الإرتباط معه.

وبذلك أمكن التوصل الى تحديد تعريف إجرائي للتواصل في العمارة عامة, والجوامع والمساجد في البحث الحالي بشكل خاص, وعلى المستوى الفيزياوي, فهو يعني: "أن تبقى خصائص المفردات والمكونات المعمارية الفيزياوية مستمرة, متتالية, متتابعة على مر الزمن من غير انقطاع أو انفصال أو تشويش, بعبارة أخرى أن تستمر تلك الخصائص بدون تغييرات أساسية تلحقها تبعدها عن أصولها المحلية وتسبب تغيرا في مسيرة التواصل".

وإعتمادا على التعريف الإجرائي والطروحات السابقة بالإمكان تحديد متغيرين لدراسة التواصل على مستوى المكونات المعمارية لأي عمارة, وبخاصة عمارة الجوامع والمساجد, وهما:

- يوجد تواصل مع الأصول المحلية والذي يكون بأحد الشكلين التاليين: الأول- مطابق لما سبقه أو يضم تطويرات بسيطة على السابق, والثاني- يتواصل مع ماسبقه مع إضافات جديدة (تطويرات وتركيبات جديدة- ابتكارات على السوابق المحلية قد تنتج من عملية تركيب بين عناصر محلية أو محلية وأجنبية - لاتشكل تغيرات أساسية في مسيرة التواصل) وهذه تعد إضافات طرازية وجزء من عملية النمو والتطور الطبيعي لأية تقاليد .
- يوجد تغير في مسيرة التواصل: أي تغيرات أساسية ناتجة عن إضافات واستعارات جديدة من تقاليد غير محلية.

2.4. مكونات ومفردات عمارة جامع المرادية المستخدمة في دراسة التواصل معماريا

من مراجعة مجموعة من الدراسات السابقة حول الموضوع, كدراسة كل من آصف علي Asif Ali 2012م[16] و محمود زين العابدين 2006 [17] والعمري 1989[18] والعامري 2010[6], أمكن التوصل الى تحديد المكونات الأساسية لجامع المرادية والتي يمكن استخدامها لدراسة التواصل المعماري فيها بكل من:

أولا: نمط التخطيط لمكونات الجامع الوظيفية الأساسية: وتشمل كلا من: الصحن (الفناء), المصلى (الحرم, المصلى الشتوي,بيت الصلاة) الرواق الأمامي (المصلى الصيفي).

ثانيا: العناصر المعمارية –الرمزية: وتشمل كلا من: العناصر الأساسية (المئذنة). وأخيرا: العناصر الإنشائية (عقود, قباب, دعائم, أعمدة).

أما سبب إنتخاب هذه المكونات فقط فيعود الى: إمكانية الحصول على المعلومات عن المكونات المنتخبة, سواء من الكتب والمصادر أو ميدانيا, أولا. وتأكيد الطروحات على احتفاظ هذه المكونات بخصائصها الأصلية وعدم تعرضها لتغييرات أساسية وهو مالاينطبق على بعض المكونات غير المنتخبة, ثانيا. وصعوبة تناول كل المكونات بتفصيل ودقة علمية ضمن حدود بحث واحد, أخيرا.

5. التطبيق

1.5. نبذة عن جامع المرادية وتاريخه

يقع جامع المرادية على شارع الرشيد مقابل وزارة الدفاع القديمة تقريبا. وينسب الجامع الى الوالي مراد باشا والذي أمر ببنائه حوالي سنة 978هـ/1570م وتشير المصادر أن الجامع جددت عمارته في الفترة 1319-1321هـ/1901-1903[24] [1] [4]. وتبعا للقصيري فانه لم يتم تغيير تخطيط الجامع وإنما تم اعادة البناء مع الحفاظ على نمط تخطيطه وطراز عناصره الأصلية, إذ تعرض الجامع للصيانة من قبل وزارة الأوقاف في السنوات 1920,1950,1952,1956,1963,1973 وهو ماأدى الى إحداث تغييرات أساسية وإضافات للمرافق والمنشآت حول فناء الجامع (غرف خدمية وأماكن وضوء) وكذلك الواجهة المطلة على وزارة الدفاع وحتى شكل الفناء تغير دون المصلى والرواق الأمامي إذ حافظا على تخطيطهما الأصلي. [5]

2.5. التحليل المقارن

1.2.5. الخصائص على مستوى نمط التخطيط لمكونات الجامع الوظيفية الأساسية

أ- خصائص نمط التخطيط في جامع المرادية: يتألف الجامع من مصلى يطل على صحن مفتوح. المصلى عبارة عن مستطيلما يتألف من ثلاثة أساكيب, اوسعها الوسطى, وثلاثة بلاطات, أوسعها الوسطى. الجداران الجنوبي الشرقي والشمالي الغربي يتوسط كل منهما بوابة, أما السلم المؤدي الى السطح فيقع في الجدار الشمالي الغربي للمصلى والمطل على الصحن. أما جدار مؤخرة المصلى الذي يقع المحفل فوقه فيتوسطه المدخل الرئيسي. أما بالنسبة للرواق الأمامي فمستطيل ويطل على الصحن بثلاثة فتحات. أما المئذنة فتحتل الركن الشمالي-الشمالي الغربي من الرواق.[4][5] إجمالا فان نمط التخطيط للمصلى يقوم على أساس وجود قاعة مركزية كبيرة مربعة الشكل تتوسط المصلى مغطاة بقبة كبيرة تجلس على أربعة أعمدة مرمرية وأربعة دعائم متصلة بالجدران تعطي للقاعة شكلها المثمن. وتحيط بالقاعة المركزية من جانبيها الشرقي والغربي بلاطة قسمت الى ثلاثة وحدات فضائية بواسطة عقود تجلس على أعمدة ودعامات وتغطي كل منها قبة صغيرة. أما الرواق الأمامي فقسم الى خمسة وحدات فضائية بواسطة عقود تجلس على دعامات وتغطي كل منها قبة صغيرة. راجع الشكل (1)

ب- خصائص نمط تخطيط الجوامع والمساجد المحلية السابقة لجامع المرادية: عند مراجعة النماذج العائدة الى القرون الهجرية الخمسة الأولى في العراق يظهر أن مخططاتها تألفت من بيت صلاة واسع ومجنبتين ومؤخرة تحيط بصحن مفتوح واسع. أما داخل المصلى فشغلته مجموعة أعمدة أو دعائم تحمل أعلاها روافد أو عقود تحمل سقفا مستويا أو يجلس السقف عليها مباشرة. كما امتازت تلك المساجد بتساوي سعة اساكيبها وبلاطاتها عدا بلاطة المحراب فكانت أوسع, أما جدران المساجد فكانت محصنة.[4][20][18].راجع الشكل (2)

أما في فترة العصور الوسطى في العراق 6-8هـ/12-14م, والتي شهدت سيادة عدة سلالات عربية وأجنبية, فقد بدأ التطور والتجديد يدب في تخطيط المساجد, كما في جامعا النوري 566-568هـ/ 1171-1173م (أمر بتشييده الملك الأتابكي نور الدين محمود بن زنكي) ومجاهد الدين 576-572هـ/1180-1176م (بناه مجاهد الدين بن قيماز مدبر دولة بن زنكي) من العهد الأتابكي-السلجوقي في الموصل. وأبرز ميزات هذه المساجد أنها صغرت حجما وإختفت جدرانها الكتلية, بينما بقي الفناء المفتوح الذي قد يحيط بالمصلى, أما الاختلاف الرئيسي فكمن في ان المصلى المستطيل صار مغلقا (مصلى شتوي) لأول مرة في العراق في جامع النوري, وتقدم المصلى رواق أمامي (مصلى صيفي) يستند على صف من أعمدة مرمرية, كما قسم المصلى

الى بلاطات متوازية باستخدام دعامات منفصلة أو جدارية وكانت بلاطة المحراب أوسعها. أما أول استخدام للقبة فوق بلاطة المحراب المربعة في العراق فكانت في جامع النوري ومن ثم مجاهد الدين.[4] [20]

وظهرت المئذنة أيضا في جامع النوري في ركن المسجد وليس المصلى ومتصلة بالجدران, بينما لم يجد البحث مثيلا لأواوين جامع النوري والتي تتقدم واجهة الرواق الأمامي ولا لطريقة تسقيفها في الجوامع العراقية السابقة, وهو ما أكدته القصيري أيضا,[5] ولكن وجد مايشبهها في أواووين وواجهة رواق المدرسة الشرابية.

ت- مقارنة خصائص نمط تخطيط جامع المرادية مع خصائص نمط التخطيط للجوامع العراقية السابقة: تظهرالمقارنة ان تخطيط جامع المرادية, يتشابه ويتواصل مع أنماط تخطيط مساجد القرون 6-8هـ/ 12-14م في العراق, إذ أنها لاتظهر تغييرات أساسية عن أنماط تخطيط جامعي النوري ومجاهد الدين, لكنها تظهر تواصلا محدودا مع أنماط مساجد القرون الهجرية الخمسة الأولى في العراق, حيث التواصل فقط على مستوى التخطيط العام للجامع والمستند على فكرة وجود مصلى وفناء مفتوح محاط بأروقة. وماسبق يتناقض مع اشارات القصيري التي أطلقت على تخطيط جامع المرادية تسمية التخطيط الجديد والمركزي والذي استخدم لأول مرة في العراق في بناء المساجد العثمانية في بغداد, ومنها المرادية.[5] كما أكدت الباحثة تشابه تخطيط المرادية مع تخطيط الجوامع في بلاد الأناضول بقولها: "موازنة نظام تخطيط جامع المرادية مع تخطيط المساجد العثمانية في بلاد الأناضول نجد تخطيطها يشبه تخطيط جامع رستم باشا في اسطنبول....وهو يمثل النموذج المبكر للمساجد التركية الصغيرة التي أقيمت على نظام التخطيط المركزي ذات القبة الواحدة..."[5] مماسبق سيتم التوجه الى دراسة نمط تخطيط الجوامع العثمانية الأناضولية, وبالأخص جامع رستم باشا, ليتسنى إجراء المقارنة الموضوعية مع تثبيت مايلي:

ان ظهور هذا النمط التخطيطي الجديد في جامعي مجاهد الدين والنوري قد ارتبط مع وجود سلطة حاكمة أجنبية (ينسب الأتابكيون الى أصول سلجوقية والذين يرتبطون مع العثمانيين بروابط عرقية) حكمت الموصل بشكل مستقل. وكانت الطروحات قد أكدت ان هذين الجامعين يعدان جديدان لم يسبق وجود مايشابهما في العراق من حيث نمط التخطيط واستخدام القبة فوق فضاء مربع يتقدم المحراب لكنها وجدت في جوامع اسلامية غربية, بالإضافة الى ان مراجعة المصادر أظهرت وجود أمثلة لجوامع سلجوقية في الأناضول تعود الى فترات سبقت عمارة جامعي مجاهد الدين والنوري لكنها تشبها من حيث نمط التخطيط واستخدام القبة للتسقيف. راجع الشكل (4)

وبشكل عام فان أبرز التطويرات والتي تعد تغيرات غير أساسية على مستوى نمط التخطيط لمكونات جامع المرادية مقارنة بالنماذج المحلية السابقة تمثلت بالرواق الأمامي (المصلى الصيفي) والذي ظهر في المرادية وهو يطل على الصحن من خلال واجهة تضم دعامات ودخلات بشكل أواوين, كما ان هذا الرواق قسم الى خمسة وحدات فضائية باستخدام الدعامات والعقود وسقفت كل وحدة فضائية منها بقبة صغيرة بينما كان الرواق الأمامي, والذي ظهر لأول مرة في نماذج جامعي النوري ومجاهدين في العراق, يطل على الصحن من خلال واجهة مؤلفة من سلسلة أعمدة ترفع السقف المستوي.

ث- خصائص نمط تخطيط الجوامع العثمانية في الأناضول: امتاز مخطط المسجد العثماني بشكله الهندسي الذي يضم فناءا مفتوحا محاطا باروقة من أربع جهات مسقفة بقباب. أما المصلى فكان عبارة عن قاعة كبيرة مركزية مربعة أو مسدسة أو ثمانية تغطيها قبة كبيرة محمولة على أعمدة أو دعامات وتحيط القبة أنصاف أو أرباع قباب و/أو قباب صغيرة, كما كانت الدعامات الرئيسية إما مدمجة في الجدران أو مستقلة.[18] [21] أما الإيوان الذي يتقدم واجهة الرواق الأمامي فلم يجد البحث مثيلا لها في الجوامع العثمانية.

أما جامع رستم باشا فصممه وشيده سنان سنة 1563-1561م, أي قبل بناء المرادية بحوالي تسع سنوات, علما ان بناء جامع المرادية 1570م قد ترافق مع فترة نشاط معمار الإمبراطورية العثمانية سنان 1540-1585م.[22] ومصلى جامع رستم باشا مستطيل الشكل يضم قاعة مركزية مربعة حولت الى قاعة ذات بنية أساسية مثمنة تشكلها الدعائم الموجودة في القاعة, وعلى كل جانب من جانبي القاعة المركزية بلاطة تغطيها قبوات. أما القبة المركزية فمرفوعة على رقبة تجلس على قاعدة مثمنة وتستند القبة على ثمانية دعامات مثمنة, أربعة منها جدارية وأربعة منها حرة, وتترابط مع بعضها باقواس نصف دائرية. أما الحنايا الركنية فتدخل بين الرقبة الإسطوانية والقاعدة المثمنة, ناقلة الحمل الى الدعامات عبر مثلثات كروية, كما يغطي قاعة الصلاة في أقطارها أربعة قباب جزئية. أما المصلى فيتقدمه رواق يقع في الواجهة الشمالية الشرقية ويعلوه خمسة قباب.

ويلتصق بهذا الرواق رواق خارجي آخر ذو سقف مائل. بينما ظهرت المئذنة في الزاوية الغربية للقاعة. [25] [23] [24] راجع الشكل (3)

ج- مقارنة خصائص نمط تخطيط جامع المرادية مع خصائص نمط التخطيط للجوامع العثمانية في الأناضول: تظهر المقارنة تشابه نمط تخطيط جامع المرادية مع الجوامع العثمانية في الأناضول عامة, وبخاصة العائدة لسنان, إذ برز من بينها جامع رستم باشا الذي سبق بنائه جامع المرادية. ويتمثل هذا التشابه على مستوى كل من:

- الشكل المستطيل للمصلى والمقسم الى ثلاثة أساكيب وثلاثة بلاطات أوسعها بلاطة المحراب التي تحولت الى قاعة مركزية مربعة, وبفعل طريقة توزيع المساند تتحول القاعة الى شكل مثمن ليسهل تغطيتها بقبة كبيرة مركزية تستند على العقود التي تحملها المساند. أما البلاطات الجانبية فقسمت الى ثلاثة وحدات فضائية بواسطة الدعامات والأعمدة والعقود التي تحملها ليتم تغطيتها بالقباب في المرادية وبالقباب والقبوات في رستم باشا.
- ظهر التشابه على مستوى الرواق الأمامي الذي قسم في جامع المرادية الى خمسة وحدات فضائية تغطيها خمسة قباب بواسطة عقود تجلس على الجدران بينما قسم في جامع رستم باشا الى أيضا خمسة وحدات تغطيها خمسة قباب تسندها عقود تجلس على الأعمدة المطلة على الفناء من جهة وعلى الجدران من الجهة الأخرى.
- ظهر التشابه أيضا على مستوى موقع المئذنة بالنسبة للمصلى, إذ احتلت الركن الشمالي الغربي منه, وكذلك طريقة الصعود اليها من باب يطل على خارج المصلى (يطل على الفناء).

ح- نتائج التحليل المقارن للخصائص على مستوى نمط التخطيط لمكونات الجامع الوظيفية الأساسية: يظهر التحليل المقارن أن نمط تخطيط جامع المرادية يتشابه ويتواصل مع أنماط تخطيط مساجد القرون 6-8هـ/ 12-14م في العراق, إذ أنها لاتظهر تغييرات أساسية عن أنماط تخطيط جامعي النوري ومجاهد الدين, وبالأخص على مستوى شكل المصلى المستطيل والمغلق (مصلى شتوي) المقسم الى بلاطة أساسية (بلاطة المحراب) مربعة الشكل, أكبر عرضا من البلاطات الجانبية, وتسقف بقبة كبيرة. أما الإضافة الجديدة في جامع المرادية مقارنة بسابقاتها فتمثلت بتقسيم الرواق الأمامي (المصلى الصيفي) الى وحدات فضائية متعددة بواسطة الدعامات والعقود التي تحملها وكل واحدة من هذه الوحدات مسقفة بقبة صغيرة, وهو مايمثل تطويرا على تقاليد محلية سابقة نتج بتأثير استعارة ودمج عناصرمن تقاليد أجنبية سبقتها مع تقاليد محلية, ولايمكن عده تغييرا أساسيا على نمط تخطيط مساجد القرنين6-8هـ. والتي كانت تضم أيضا الرواق الأمامي دون أن يقسم الى وحدات فضائية بواسطة العقود ليسقف كل منها بقية صغيرة, وقد جاء هذا التغيير بتأثير استعارات من تقاليد أجنبية سبقتها وجدت في الأناضول.

ويظهر التحليل المقارن أيضا ان نمط تخطيط المرادية يتواصل بشكل محدود مع أنماط مساجد القرون الهجرية الخمسة الأولى في العراق, حيث التواصل فقط على مستوى التخطيط العام للجامع والمستند على فكرة وجود مصلى (بيت الصلاة) وفناء مفتوح محاط بأروقة. كما ظهرت المئذنة في جامع المرادية في موقعها في الركن الشمالي-الشمالي الغربي للرواق الأمامي وهو مالم تتوفر الأدلة لوجود مآذن عراقية سابقة تعود للفترة 6-8هـ تشبهها من حيث التوقيع, بينما ظهرت أمثلة أناضولية تسبقها وتتشابه معها في موقع المئذنة بالنسبة للجامع ومكان الدخول اليها. عموما فان النقص في الأدلة العلمية يمنعنا من اصدار حكم قاطع حول كون مئذنة المرادية من حيث التوقيع متواصلة مع التقاليد المحلية أم لا.

من ناحية أخرى, يظهر تخطيط جامع المرادية تشابها واضحا مع نمط تخطيط الجوامع العثمانية-الأناضولية ولاسيما جوامع سنان وبخاصة جامع رستم باشا وذلك على مستوى نمط تخطيط وتسقيف كلا من المصلى والرواق الأمامي وكذلك توقيع المئذنة. هذا التواصل والتشابه لنمط تخطيط مكونات جامع المرادية مع نمط تخطيط الجوامع المحلية والأناضولية بالإمكان تفسيره الى أن أصوله ترجع الى التغييرات والتجديدات التي حصلت في نمط تخطيط المساجد العراقية خلال القرون 6-8هـ/12-14م, حيث شهدت الفترة تأثيرات أجنبية سلجوقية -أناضولية الأصول على أنماط مخططات المساجد المحلية وهو ماتم التوصل اليه من خلال العثور على نماذج أناضولية لجوامع سبقت جامعي النوري ومجاهدين والتي تشابهها في نمط التخطيط الذي عد جديدا بالنسبة للعمارة العراقية في وقتها, وهو ماأكده الجنابي وعيسى سلمان وآخرون وسبق الإشارة اليه في البحث. [4][20]

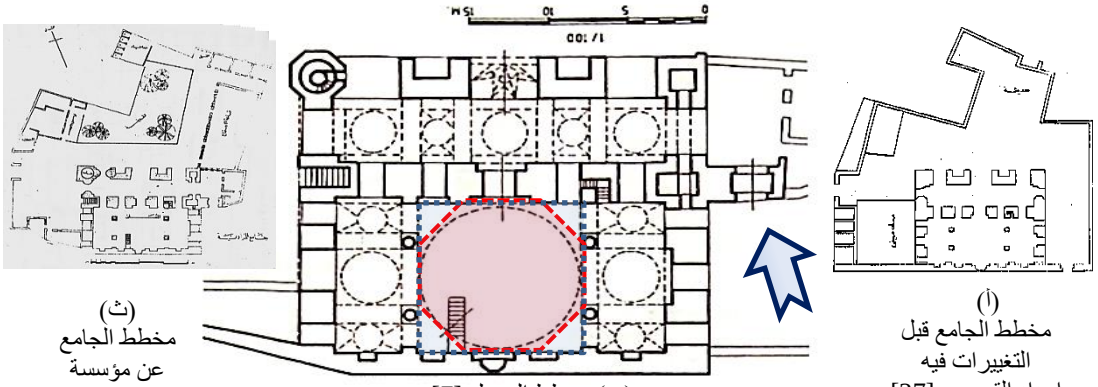

(أ)
مخطط الجامع قبل التغييرات فيه
اعداد القصيري[27]

(ب) مخطط المصلى[7]

(ث)
مخطط الجامع
عن مؤسسة
الآثار[27]

الشكل (1): نمط التخطيط في جامع المرادية

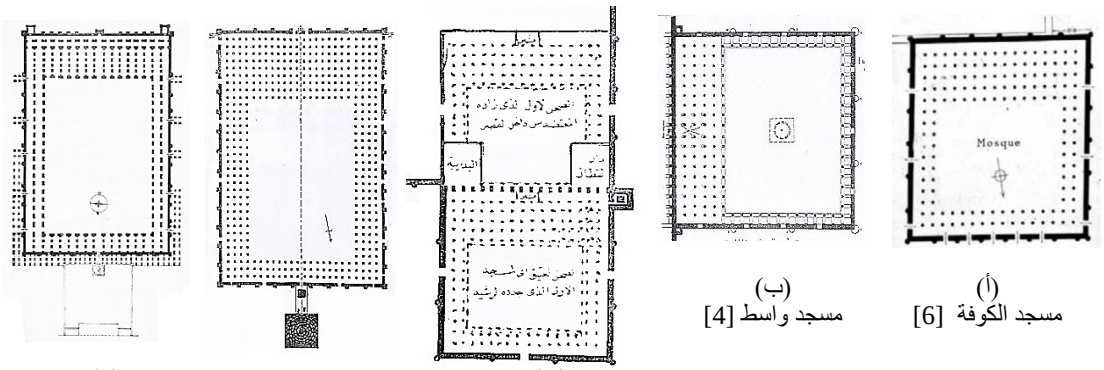

(أ)
مسجد الكوفة [6]

(ب)
مسجد واسط [4]

(ت)
جامع المنصور [26]

(ث)
جامع المتوكل [26]

(ج)
جامع أبي دلف [4]

الشكل (2): نمط تخطيط الجوامع والمساجد المحلية السابقة لجامع المرادية– القرون الهجرية الخمسة الأولى

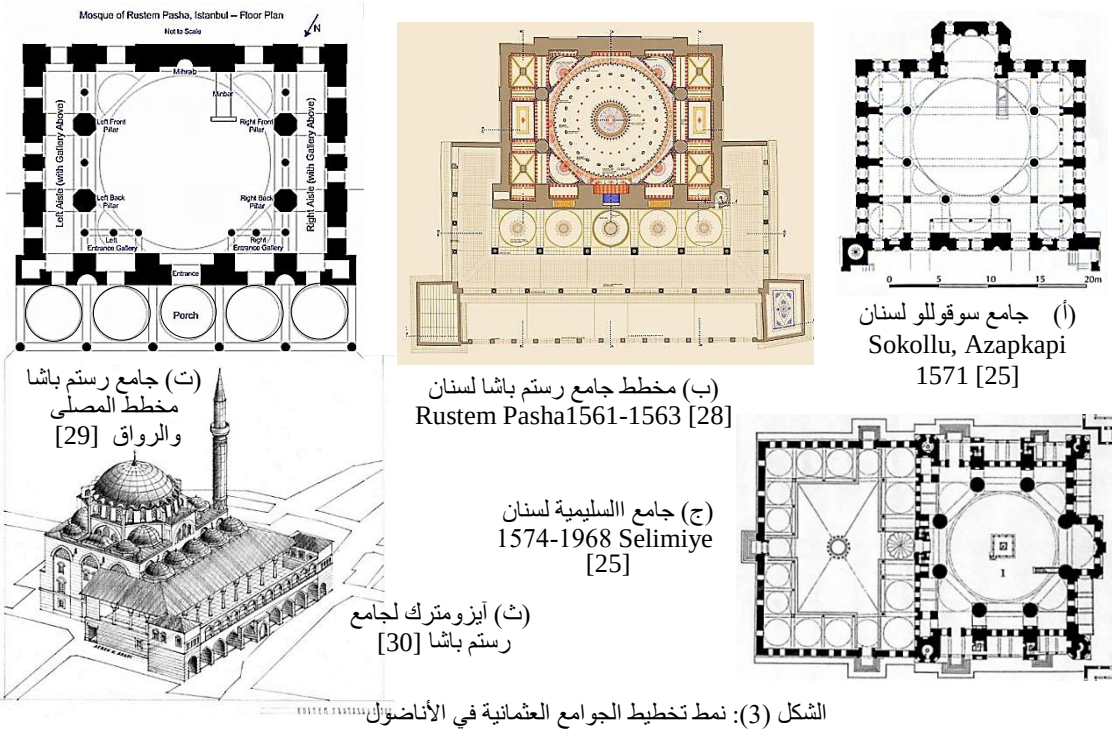

(أ) جامع سوقوللو لسنان
Sokollu, Azapkapi
1571 [25]

(ب) مخطط جامع رستم باشا لسنان
Rustem Pasha1561-1563 [28]

(ت) جامع رستم باشا
مخطط المصلى
والرواق [29]

(ج) جامع االسليمية لسنان
1574-1968 Selimiye
[25]

(ث) آيزومترك لجامع
رستم باشا [30]

الشكل (3): نمط تخطيط الجوامع العثمانية في الأناضول

أما التشابه الواضح مع نمط تخطيط جوامع سنان وبخاصة النمط ذو القاعة المركزية الثمانية المسقفة بقبة فيمكن تفسيره وفق الطرح السابق أعلاه مع اضافة أنه جاء أيضا كنتيجة للتفاعل والإحتكاك الحضاري الذي تم بفعل السيطرة الأجنبية وبخاصة وان الطروحات تشير الى أن جامع المرادية قد شيد بأمر من الوالي الأجنبي مراد باشا بنفسه وبرعاية منه. كما أن التشابه الواضح بين نمط تخطيط جامعي المرادية ورستم باشا العائد لسنان يوحي باحتمالية أن يكون تصميم الجامع أحد التصاميم العائدة لسنان, وهو ماأثاره ساعتجي بتاكيده وجود إشارات لعدد من أعمال الإنشاء والتعمير التي جرت في بغداد ضمن تصاريح البناء العائدة للمعمار سنان من بينها جامع وتكية الإمام الأعظم وجامع وتكية الشيخ عبد القادر وجامع المرادية, مؤكدا ان الجامع هو أحد تصاميم سنان المرسلة الى بغداد لتنفذ دون أن يساهم مباشرة في عملية إدارة اعمال البناء. [7]

كما ظهرت فكرة الأواوين المطلة على الصحن المفتوح والموجودة في واجهة الرواق الذي يتقدم واجهة المصلى كفكرة جديدة تمثلا إضافة وابتكار في مسيرة التواصل للجوامع والمساجد العراقية على مستوى هذا المكون دون أن تظهر لها مشابهات في عمارة المساجد العثمانية بينما ظهر مايشبها الى حد ما في الواجهة الداخلية المطلة على الفناء للمدرسة الشرابية 7هـ/ 13م والسابقة للمرادية.

2.2.5. الخصائص على مستوى العناصر المعمارية الرمزية - الأساسية (المئذنة)

أ- خصائص العناصر المعمارية الأساسية - المئذنة في جامع المرادية: يضم جامع المرادية مئذنة واحدة فقط تقع في الزاوية الشمالية- الشمالية الغربية لجدار الرواق الأمامي. قاعدة المئذنة مثمنة ترتفع بارتفاع سطح المصلى ليتحول بعدها بدن المئذنة الى اسطواني. ويتكون البدن الإسطواني من جزئين, الأول يمتد من سطح المصلى الى الحوض الذي تسنده اربعة صفوف من المقرنصات, حيث تقوم عليه شرفة المئذنة. وبالنسبة للجزء الثاني المتمم من البدن (الرقبة) فهو أرشق ويتوج بقبة مضلعة, وقد زين بدن المئذنة بالواح الكاشاني الملونة والمزخرفة. وبالنسبة لمادة البناء فكان الآجر والجص, كما استخدمت الزخارف الآجرية مع الطابوق المزجج. [4][7]راجع الشكل (6)

ب- خصائص العناصر المعمارية الأساسية-المئذنة للجوامع والمساجد المحلية السابقة لجامع المرادية: امتازت المآذن العراقية قبل الفترة العثمانية بمايلي: بالنسبة لقواعدها, والتي كان معظمها مزين بحنايا ومشاكي وزخارف, فانها كانت مضلعة, إذ تراوحت مابين المربعة والمثمنة والمسدسة والإثني عشرية. وبالنسبة لأبدانها فكانت في الغالب اسطوانية مع ظهور امثلة لأبدان حلزونية, ومثمنة. وقد تباينت الأبدان الإسطوانية من حيث إرتفاعها وسمكها وزخارفها ولكن معظمها كان يضم حوضا واحدا, والصعود الى الحوض يكون من خلال سلم حلزوني أو سلمين داخل البدن. وبشكل عام فان رقبة المآذن العراقية السابقة كانت أرشق من الأبدان اسفل الحوض. وكانت الأحواض تجلس على الأبدان وتبرز عنها عبر مساند مؤلفة من عدة صفوف من المقرنصات. وأخيرا كات تتوج أبدان هذه المآذن الإسطوانية قباب نصف كروية مدببة أو مضلعة غالبا. أما مادة البناء فكان الآجر والجص, كما استخدم الآجر في الأعمال الزخرفية وكذلك الطابوق المزجج والملون. [4] راجع الشكل (5)

ت- مقارنة خصائص العناصر الأساسية - المئذنة لجامع المرادية مع خصائص المآذن للجوامع المحلية السابقة: على الرغم من تشابه توقيع المئذنة بالنسبة للمصلى في كل من جامع المرادية وجامع رستم باشا إلا أن مئذنة المرادية تظهر تشابها وتواصلا واضحا مع الخصائص الأساسية للمآذن العراقية السابقة لها وذلك من حيث شكل قاعدتها المثمنة وبدنها الإسطواني ورقبتها الإسطوانية الأرشق وحوضها الجالس على صفوف من المقرنصات وقمتها النصف الكروية وحتى نمط تزييناتها وزخارفها ومواد بنائها وتزيينها المعتمدة على الآجر والجص.

ث- خصائص العناصر الأساسية -المئذنة في الجوامع العثمانية في الأناضول: تميزت المآذن العثمانية بشكلها الإسطواني أو المخروطي المدبب وارتفاعها ورشاقتها. وفي عهد سنان صار شكل المئذنة أقرب للإسطواني المتعدد الأضلاع مع قمة مخروطية مدببة. وتألفت المئذنة من رأس المئذنة والبدن والقاعدة. وعموما فان قاعدة المئذنة التصقت بالجدار الغربي أو الشمالي الغربي للجامع أو عند الصف الأخير للحرم, كما يمكن الدخول الى المئذنة إما من داخل الحرم أو عبر الصف الأخير للحرم أو عبر باب خارجي مفتوح على الصحن. أما البدن فضم الشرفة التي قد تكون واحدة أو اثنتين أو ثلاثة, وهي تجلس على صفوف من المقرنصات. وكانت الحجارة مادة البناء الاساسية, أما زخارف قاعدة المنارة فكانت زخارف حجرية. بدن المئذنة كان اقرب الى شبه

المنحرف متعدد الأضلاع, واستخدمت الزخارف تحت الشرفات أو في جدرانها وعلى شكل محجرات حجرية. [17]راجع الشكل (7)

ج- مقارنة خصائص العناصر الأساسية–المئذنة لجامع المرادية مع خصائص المآذن للجوامع العثمانية الأناضولية: تظهر المقارنة أن مئذنة المرادية لها خصائص عراقية واضحة تميزها عن المآذن العثمانية, وان التشابه مع المآذن العثمانية ارتبط فقط على مستوى موقع المئذنة بالنسبة للحرم, ونظرا لعدم توفر المعلومات الكافية عن مواقع مآذن المساجد العراقية خلال الفترة التي تلت القرون الخمسة الأولى للهجرة بالنسبة لحرم المسجد فلا يمكن الجزم فيما إن كان توقيع المئذنة في جامع المرادية قد تأثر بتوقيعها في الجوامع العثمانية – الأناضولية أم لا.

ح- نتائج التحليل المقارن للخصائص على مستوى العناصر المعمارية الأساسية- المئذنة: يظهر التحليل المقارن أنه لم يحصل تغيير اساسي في شكل المئذنة لجامع المرادية ولاخصائصها التشكيلية العامة ولامواد بنائها وزخرفتها وذلك عند مقارنتها بمآذن المساجد والجوامع العراقية السابقة للمرادية. وبذلك فان المئذنة كعنصر معماري أساسي في جامع المرادية أظهرت تواصلا واضحا مع خصائص المآذن في المساجد والجوامع العراقية السابقة.

3.2.5. الخصائص على مستوى العناصر المعمارية الرمزية- الإنشائية (الأعمدة, الدعائم, العقود, القباب, القبوات)

أ- خصائص العناصر المعمارية -الإنشائية في جامع المرادية:

- الأعمدة والدعائم: ضم المصلى في جامع المرادية أربعة اعمدة مرمرية يعلوها تاج بشكل مخروط ناقص مقلوب مربع القاعدة من الاعلى ودائري من الأسفل, ويجلس البدن على قاعدة مرمرية تشبه التاج ولكنها مقلوبة. كما ضم بيت الصلاة إثنتا عشرة دعاماة ملتصقة بجدرانه وتبرز عنها.[5]

- العقود والقبوات والقباب: امتازت عقود بيت الصلاة بأنها مدببة ذات أربع مراكز, أما توزيعها فتألف من ستة عقود قائمة فوق صفين من الأعمدة وتكون عمودية على جدار القبلة. ولتحويل القاعدة المربعة التي تجلس عليها قبة بلاطة المحراب الى مثمنة أقيمت أربعة عقود أخرى في زوايا بلاطة المحراب وضعت بشكل قطري, وهناك عقدان آخران يتوسط أحدهما جدار القبلة والآخر جدار مؤخرة المصلى. أما البلاطة الجانبية فقط ضمت صفين من العقود الموازية لجدار القبلة بالإضافة الى عقد قائم في جدار القبلة وآخر في جدار المؤخرة. وعموما فان ترتيب هذه العقود أدى الى تقسيم البلاطة الجانبية الى ثلاثة أقسام مربعة مما سهل عملية تسقيفها بالقباب.

أما الرواق الأمامي فان جدار مؤخرة المسجد يطل عليه بخمسة عقود جدارية مدببة ويقابلها خمسة عقود أخرى في الجدار الداخلي للرواق الامامي المطل على الصحن. كما يطل الرواق في كل من نهايتيه الشرقية والغربية بعقد على الفناء. وأقيمت أربعة عقود أخرى عمودية على جدار مؤخرة المسجد. وقد ساعدت هذه العقود المدببة ذات المراكز الأربعة على تقسيم الجزء العلوي للرواق الى خمسة مساحات مربعة سقف كل منها بقبة. [5]

وفيما يتعلق بالقبوات المبنية بالآجر فقد ظهرت في الجامع وهي تسقف كل من: فسحات المداخل والأبواب والنوافذ في جدران المصلى والممر المؤدي الى سطح المصلى والأواوين القائمة في واجهة الرواق الأمامي.

أما القباب فقد استخدمت لتسقيف بيت الصلاة والرواق الأمامي والمحفل الموازي لجدار القبلة, وكانت جميعها نصف كروية, بلغ عددها سبعة قباب فوق بيت الصلاة, وكما يلي:[5] قبة بلاطة المحراب: وتعد أكبر القباب في الجامع إذ بلغ قطرها 10م وارتفاعها حوالي 10.9م وهذه القبة ارتكزت على رقبة اسطوانية تضم نوافذ للإضاءة, أما حل مسألة جلوس القبة الدائرية فوق مركز بلاطة المحراب المربعة فكان باقامة أربعة اعمدة وأربعة دعائم فوق بلاطة المحراب ومن ثم اقامة العقود فوق هذه الأعمدة والدعائم مما أدى الى الحصول على مثلثات بين أكتاف العقود وبذلك تحول الشكل المثمن الى دائري. وقد قسم سطح هذه المثلثات الى ثلاثة صفوف من المقرنصات.

واستخدمت القباب أيضا في البلاطات الجانبية والرواق الأمامي والمحفل, إذ تم تسقيف كل بلاطة جانبية بثلاثة قباب صغيرة. أما الرواق فسقف بخمسة قباب, كما استخدمت المثلثات لتأمين جلوس القباب الدائرية فوق

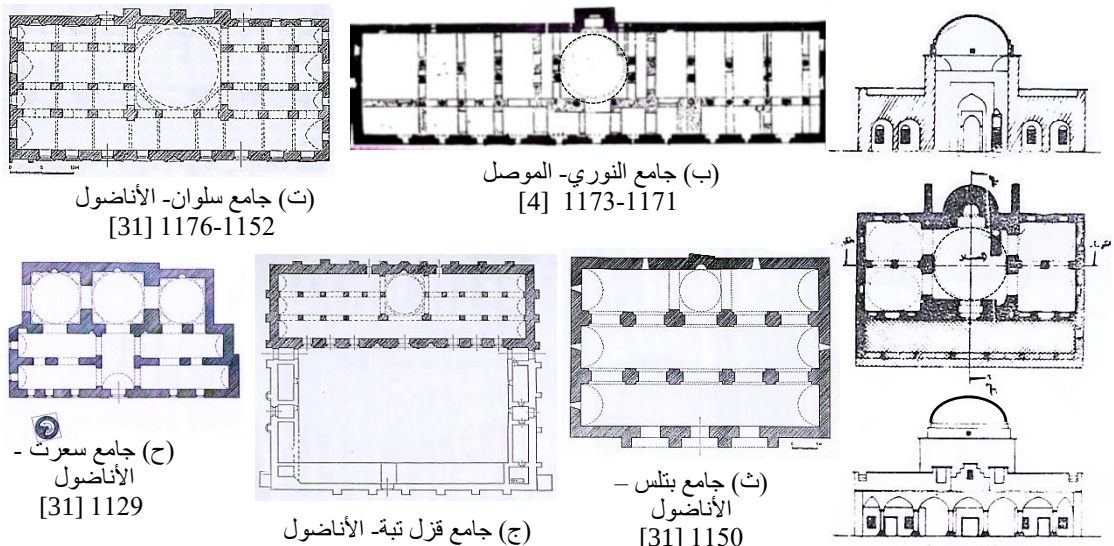

(ت) جامع سلوان- الأناضول
[31] 1176-1152

(ب) جامع النوري- الموصل
[4] 1173-1171

(ح) جامع سعرت - الأناضول
[31] 1129

(ج) جامع قزل تبة- الأناضول
[31] 1204

(ث) جامع بتلس – الأناضول
[31] 1150

(أ) جامع مجاهدالدين- الموصل
[4] 1180 -1176

الشكل (4): مقارنة خصائص نمط تخطيط جامع النوري والمجاهدين مع خصائص جوامع سلجوقية أناضولية

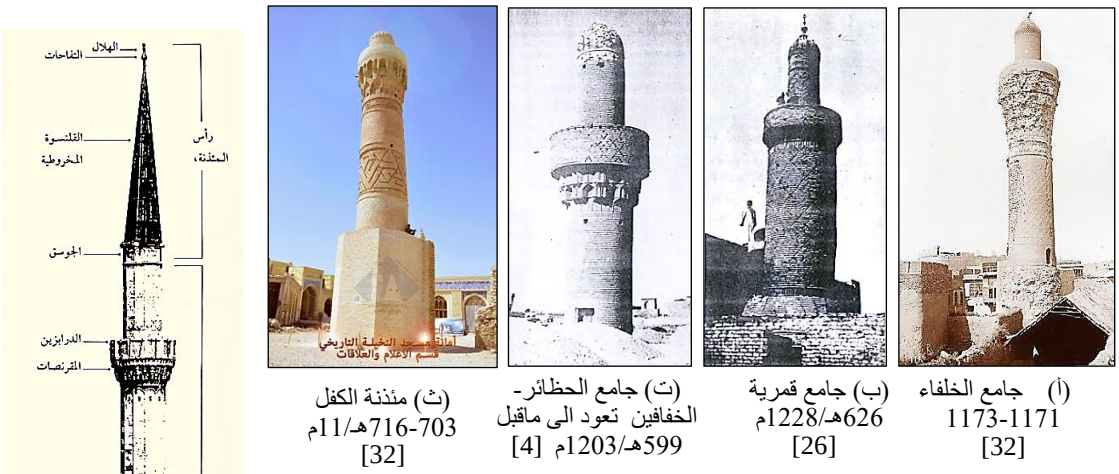

(أ) جامع الخلفاء
1173-1171
[32]

(ب) جامع قمرية
626هـ/1228م
[26]

(ت) جامع الحظائر- الخفافين تعود الى ماقبل
599هـ/1203م [4]

(ث) مئذنة الكفل
716-703هـ/11م
[32]

(أ) أقسام المئذنة في عهد سنان [17]

الشكل (5) أمثلة لخصائص المئذنة للجوامع والمساجد المحلية السابقة لجامع المرادية

مئذنة المرادية 978هـ/1570م
المصدر: تصوير الباحث

الشكل (6): خصائص مئذنة جامع المرادية

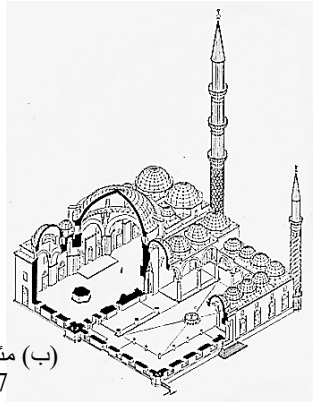

(ب) مئذنة جامع السليمية
1447م [25]

الشكل (7): أمثلة لخصائص المئذنة في الجوامع العثمانية-الأناضولية

قواعدها المضلعة. أما تسقيف المحفل فقد اتبعت فيه طريقة عدتها القصيري جديدة وذلك باستخدام القبة وأنصافها وأيضا فان القبة هنا تجلس على مثلثات كروية. وعموما زينت جميع المثلثات الكروية في جامع المرادية بصفوف من المقرنصات, كما كان الآجر والجص مادة البناء التي استخدمت في إنشاء الدعائم والعقود والقباب والقبوات. راجع الشكل (8)

ب- خصائص العناصر المعمارية- الإنشائية للجوامع والمساجد المحلية السابقة لجامع المرادية:

- الأعمدة والدعائم: امتازت مساجد القرون الهجرية الخمسة الأولى في العراق بضخامة جدرانها وتدعيمها بأبراج دائرية بقواعد مربعة أو مستطيلة, كما في جامع المتوكل الذي كان سقفه يستند على جسور ترفعها عقود تستند على أعمدة ودعامات. وكانت هذه الدعامات مثمنة ذات قواعد رباعية تزين بأعمدة رخامية اسطوانية في زواياها. أما جامع الكوفة فقد ضم أعمدة رخامية أسطوانية تضم تيجانا بشكل هرم ناقص مقلوب مزخرفة وقواعد, بينما كانت أعمدة جامع الحجاج اسطوانية حجرية. وفي مسجد الأخيضر ظهرت دعائم اسطوانية بقواعد مربعة, كذلك ظهرت دعامات مستطيلة في جامع أبي دلف. أما مصلى جامع النوري فضم دعامات ضخمة بينما ضم الرواق الأمامي أعمدة اسطوانية رشيقة. أما مصلى جامع مجاهد الدين فضم دعامات منفصلة وأخرى جدارية مستطيلة, بينما ضم الرواق الأمامي أعمدة رخامية مربعة رشيقة. وقد استخدم السومريون الدعامات أيضا. [4] [23]

- العقود والقبوات والقباب: يعد العقد المدبب أكثر الأنواع إستعمالا في المساجد العراقية, وأقدم أمثلته ظهر في أور (2800-2371) ق.م. [23] وقد تعددت أنواع العقود في العمارة العراقية خلال القرون الهجرية الخمسة الأولى مابين القوس ذي المركزين, والمفصص في جامع المتوكل, والقوس المدني في والمدبب المنفوخ في جامع أبي دلف. واستخدمت هذه العقود في مواضع مختلفة كالمداخل وفتحات النوافذ والمشاكي والمحاريب وكعقود جدارية صماء. أما العقود المدببة فقد أشير الى احتمالية استخدامها في جامع المتوكل. [4]

وخلال الفترة 6-8هـ/ 12-14م لعب العقد المدبب دورا كبيرا في المباني العراقية, وظهر بنمطين: ثنائي أو رباعي المركز, والأخير استخدم في المباني العراقية وخاصة الأواوين والجسور وعقود القبوات وفي المداخل الثلاثية العقود والمحاريب والممرات وفي البروزات الكبيرة المعقودة التي تعلو عادة المداخل للمدارس والترب وتعمل كاطار للكتابات وذلك خلال الفترات ق6-8هـ/ 12-14م. إجمالا فان أنواع العقود التي استخدمت في المباني العراقية خلال القرنين 6-8هـ بمايلي: المدبب, المدني, النصف دائري, المفصص, المنضغط, المستوي. [20].

وقد ظهر العقد المدبب المطول حاملا سقف المصلى في جامع النوري, كما ظهر العقد المدبب المنفوخ المطول في بوائك الرواق الامامي لنفس الجامع. أما في جامع مجاهد الدين فظهرت عقود مدببة منفرجة في بوائك الرواق الخارجي المطلة على الصحن, كما ظهرت العقود المدببة المنفرجة في مصلى نفس الجامع. [4]

أما القبوات فتعد ابتكارات وادي رافدينية,[27] استخدمت في العراق في صالات الاواويين والغرف, وتعددت أنواعها، كالقبو البرميلي الذي ظهر في الحضر ونينوى وخرسباد. وكذلك استخدم القبو البرميلي المستمر أو المقسم بواسطة عقود مستعرضة وذلك خلال الفترة مابين القرنين 6-8هـ, إذ ظهر في المدرسة المستنصرية والشرابية وفي بنية مهمة أخرى. أما القبو المقبب فظهر في الباب الوسطاني, كما ظهر في القرون6-8هـ في العراق في جامع ذي الكفل والمدرسة المرجانية. وظهرت القبوات المقرنصة المسقفة للمحاريب في القرنين 6-8هـ. [20]

ولم يخل تاريخ العمارة العراقية من القباب أيضا, إذ شوهدت تعلو قصرالمنصور, كما ظهرت القباب المخروطية فوق الأضرحة في العهد الإيلخاني.[27] أما أقدم الأمثلة للقباب في المساجد العراقية فيعود الى جامعي النوري ومجاهد الدين. ففي النوري تجلس القبة فوق فضاء مربع, وتبعا لعيسى سلمان وآخرون فان القبة الاصلية كانت مزدوجة السفلية منها نصف كروية وتعلو على رقبة اسطوانية اما العلوية فمخروطية مضلعة. كما عد الباحث هذه القبة وطريقة استخدامها لتسقف بلاطة المحراب المربعة جديدة بالنسبة للعمارة العراقية.[4] أما قبة جامع مجاهد الدين فانها تسقف فضاءا مربعا, وهناك مراحل لتحويل القاعدة المربعة التي تغطيها القبة- النصف كروية المدببة قليلا وذات الرقبة القصيرة- الى شكل مثمن مع فتح نوافذ في جدران هذه المراحل [4].

(أ) واجهة المصلى الصيفي المطلة على الفناء – واجهة الرواق الأمامي

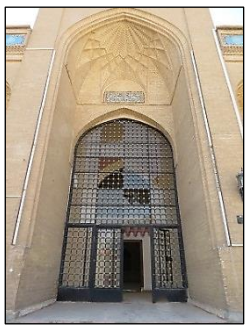

(ب) مدخل المصلى ذو السقف الإيواني

(ت) واجهة المصلى الجانبية

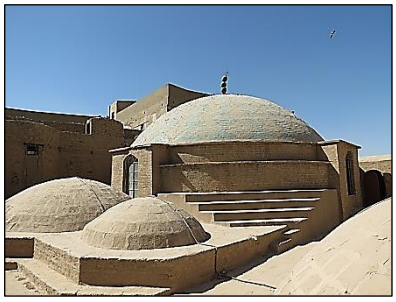

(ث) القبة الرئيسية والقباب الصغيرة الأخرى فوق المصلى

(ج) الرواق الأمامي – لاحظ عقوده التي تقسمه الى وحدات أصغر تسقف بالقباب

(ح) واجهة المحراب من الداخل لاحظ مراحل الإنتقال للقبة الدائرية

(ذ, ر) قباب صغيرة تسقف الرواق الأمامي

(خ) القبة تجلس على أعمدة منفصلة ودعامات متصلة بالجدران وتضم فتحات للإنارة

(د) أحد قباب البلاطات الجانبية

(ز) نصف قبة تغطي سقف الإيوان الأمامي

(س) قبة صغيرة تسندها أنصاف قباب لتسقف المحفل

(ش) قاعة الصلاة الرئيسية- بلاطة المحراب- لاحظ الأعمدة والدعائم

الشكل (8):خصائص العناصر المعمارية – الإنشائية في جامع المرادية المصدر: تصوير الباحث

لقد أكدت طروحات عيسى سلمان وآخرون على عدم سيادة القباب النصف كروية عموما ضمن تقاليد العمارة العراقية.[4] بينما أشارت طروحات أخرى الى أن سقف المصلى في جامع قمرية 626هـ/1228م سقف أيضا بستة قباب نصف كروية صغيرة وواطئة, وأن المثلثات الكروية ظهرت في قباب بيوت الصلاة في بغداد خلال العصر العباسي, كما زخرفت هذه المثلثات أحيانا بمقرنصات.[5] [4] إلا أن كثرة أعمال التجديد والترميم التي مرت بها هذه المساجد تجعل من الصعب اقرار مدى محافظتها على خصائصها الأصلية وما اذا كانت هذه القباب أصلية أم أنها أنشأت خلال أعمال التجديد في الفترات العثمانية التي تلت بناء المرادية, وهو ماأشار له عيسى سلمان وآخرون,[4] وأكده الجنابي بالنسبة لمساجد العصور الوسطى في العراق 6-8هـ.[20] راجع الشكل (9)

أما المواد البنائية التي استخدمت في إنشاء الأعمدة في العمارة العراقية السابقة للمرادية فانها تراوحت مابين الحجر والرخام والخشب في حين ساد استخدام الآجر والجص في إنشاء الدعائم والعقود والقبوات والقباب.

ت- مقارنة خصائص العناصر المعمارية-الإنشائية للمرادية مع خصائص نفس العناصر للجوامع المحلية السابقة: تظهرالمقارنة ان خصائص الأعمدة والدعامات في المرادية تتشابه وتتواصل مع خصائص مثيلاتها في المباني العراقية السابقة للمرادية, سواء العائدة للقرنين 6-8هـ أو قبلها, حيث وجدت في تلك المباني نماذج لأعمدة رخامية بأبدان إسطوانية وتيجان مخروطية أو هرمية مقلوبة,كما ظهرت فيها دعامات منفصلة أو متصلة بالجدران.

أما فيما يتعلق بنمط العقود -العقد المدبب رباعي المركز- الذي ظهر في جامع المرادية فانه ايضا اظهر تشابها وتواصلا مع العقود المدببة بأنواعها والتي زخر بها تاريخ العمارة العراقية بشكل عام, وبخاصة تلك التي استخدمت خلال فترة القرون6-8هـ في العراق, إذ أن أقرب أمثلتها العقود المدببة المنفرجة في مصلى جامعي النوري ومجاهد الدين. أما القبوات التي سقفت فتحات النوافذ والمداخل والأواويين في المرادية فانها تواصلت مع مثيلاتها المحلية السابقة. وكذلك الحال بالنسبة لقباب المصلى والرواق الأماميفي المرادية والتي تواصلت مع تقاليد عمارة الجوامع العراقية, وبخاصة مع قباب الأنماط الجديدة من المساجد في القرنين6-8هـ, كجامعي النوري ومجاهد الدين.

وإضافة الى التواصل على مستوى الشكل وموقع وطبيعة الإستخدام بالنسبة للعقود والقبوات والقباب ظهر التشابه والتواصل على مستوى مادة البناء والتي إعتمدت بشكل أساسي على الآجر والجص.

أما التحولات التي يمكن عدها تطويرات وتجديدات وليس تغييرات أساسية تسبب تغيرا في مسيرة التواصل بالنسبة للعناصر الإنشائية التي استخدمت في العمارة المحلية السابقة فيمكن إجمالها بما يلي:

- استخدام الأعمدة الرخامية مع الدعامات المتصلة بالجدران لحمل القبة الرئيسية بدلا من الدعامات المنفصلة والمتصلة السابقة والتي ظهرت أولى نماذجها في العراق في جامعي مجاهد الدين والنوري.
- استخدام القباب الصغيرة لتسقيف البلاطات الجانبية والرواق الأمامي بتقسيم هذه الفضاءات الى وحدات أصغر باستخدام عقود مدببة تجلس على أعمدة و/أو دعامات مع استخدام المثلثات المقرنصة في مراحل انتقال القباب.
- الرواق في جامع المرادية يطل على الصحن عبر واجهة تضم دخلات وأواويين وفتحات, وهو مايمثل اضافة جديدة مبتكرة- تعتمد سوابق محلية ظهرت في عمارة المدارس المحلية السابقة- ولكن لم يسبق وجودها في عمارة الجوامع العراقية السابقة للمرادية, وهو ماأكدته القصيري أيضا مشيرة الى احتمالية ظهور مايشبهها في الأضرحة ومداخلها في العراق في العهد الصفوي.[5] فالأروقة الأمامية السابقة والتي ظهرت كعناصر جديدة في جامعي النوري ومجاهد الدين كانت تطل على الصحن عبر بوائك تسندها أعمدة رشيقة, بينما في المرادية كانت عبارة عن جدار يضم فتحات مجوفة معقودة وثلاثة أواوين أكبرها نافذ, وهذه الأواوين تتوجها أنصاف قباب مضلعة من الداخل تجلس على قاعدة مستطيلة باستخدام حنايا ركنية تضم صفوفا من المقرنصات.

وأخيرا لابد من تأشير ظهور إضافة جديدة على مستوى التسقيف في جامع المرادية لاتتواصل مع سابقاتها المحلية وتمثل تغيرا في مسيرة التواصل نتج عن استعارة لعناصر معمارية وطريقة تسقيف أجنبية الأصول, إذ لم نجد أمثلة محلية تسبقها, وتمثلت بتسقيف المحفل في المصلى بقبة في الوسط تسندها من الجانبين أنصاف قباب.

ث- خصائص العناصرالمعمارية - الإنشائية في الجوامع العثمانية في الأناضول:

- الأعمدة والدعائم: اعتمدت الجوامع العثمانية على استخدام أعمدة ضخمة في حمل القبة الكبيرة للمصلى بالإضافة الى الدعامات الرئيسية والتي قد تكون مدمجة بالجدران او مستقلة. أما الأعمدة في الأروقة الخارجية أو تحت الشرفات الداخلية فانها امتازت بالرشاقة. وعموما كانت الأروقة عبارة عن بلاطة واحدة تحيط الصحن عدى الرواق الأمامي إذ كان يتألف من رواق واحد أو رواقين أحيانا. [17][18]
- العقود والقبوات والقباب: ظهر العقد المدبب كأحد أبرز أنماط العقود في أبنية الجوامع العثمانية- الأناضولية, واستخدمت كعقود تحمل القباب أو تؤطر فتحات الأبواب والشبابيك والبوائك كما في جامع السليمانية 1550 ورستم باشا1561 والسليمية 1568 وغيرهم. كما استخدمت العمارة العثمانية العقود نصف الدائرية.

أما القبة فكانت العنصر الأساسي في عمارة الجوامع العثمانية. وكان الظلة المقببة domed baldaquin تجلس إما على قاعدة مربعة أو مسدسة أو ثمانية. واستخدم العثمانيون أنواع من العناصر لجعل القبة نصف الدائرية تجلس على قواعد مربعة كـ: المثلثات الكروية Pendentives, والحنايا الركنية Squinches, وانصاف أو أجزاء القباب مع اضافة المساند والأبراج السائدة في الخارج, والدعامات الرئيسية يمكن ان تندمج مع الجدران أو تبقى منفصلة. وفي حالة القبة التي تجلس على قاعدة مثمنة استخدمت الحنايا الركنية والقبوات المعقودة الركنية في الزوايا, وعندما يتم تقوية هذه النقاط الثمانية في الجدران السائدة بواسطة الأعمدة فانه ينتج تكوين الظلة المثمنة التي وظفها سنان في جامع رستم باشا1561 و...الخ. كما ظهر في الخارج وجود الرقبة المثمنة أو الدائرية فوق الإنشاء المربع, أما نوافذالإضاءة فظهرت في الرقبة أو أسفل جسم القبة. عموما استخدم العثمانيون, ولاسيما سنان, ثلاثة أنواع من الأنظمة الإنشائية لنقل قوى القبة عبر مستويات انشائية مختلفة من خلال عناصر ساندة وأخرى مساعدة الى الأرض, وهي: النظام المربع والسداسي والثماني والأخير استخدم في جامع رستم باشا.[25][23] [21]

كما امتازت الأروقة الخارجية في المساجد العثمانية باستخدام القباب الصغيرة النصف دائرية والواطئة في تسقيفها, وهذه بدورها كانت أقل ارتفاعا من المصلى وتحيط بفناء الجامع.[17] راجع الشكل (10)

ج- مقارنة خصائص العناصر المعمارية- الإنشائية لجامع المرادية مع خصائص نفس العناصر للجوامع العثمانية الأناضولية: تظهر المقارنة تشابه خصائص العناصر المعمارية- الإنشائية للمرادية مع خصائص نفس العناصر في الجوامع العثمانية الأناضولية عامة, وبخاصة العائدة لسنان, وتمثل التشابه على مستوى كل من مايلي:

- فيما يتعلق بالأعمدة والدعائم المتصلة بالجدران في جامع المرادية فقد اظهرت المقارنة أنها وظفت أيضا في الجوامع الأناضولية, وان كانت الأخيرة أكثر استخداما للدعائم المنفصلة والمتصلة بالجدران وباشكال متنوعة لحمل القبة الكبيرة, بينما ظهرت القبة فوق المرادية جالسة على أعمدة منفصلة ودعامات متصلة, لكن التشابه كان واضحا في نمط توظيف واستخدام هذه العناصر لحمل القبة الكبيرة والقباب الصغيرة.
- ظهر التشابه أيضا في استخدام العقود المدببة الرباعية المركز في جامع المرادية سواء تلك التي تجلس على أعمدة أو دعامات أو التي تغطي فتحات المداخل والشبابيك أو تشكل الفتحات الجدارية الصماء, إذ ظهر العقد نفسه وبنفس الإستخدام في جوامع أناضولية.
- أما القباب والقبوات فقد ظهر فيها التشابه الواضح جدا على مستوى الشكل العام وموقع ونمط الإستخدام وطريقة الإنشاء, إذ ظهرت, في جامع المرادية والجوامع الأناضولية أيضا, كجامع رستم باشا, القبة الكبيرة الدائرية التي تجلس على رقبة تجلس بدورها على نظام انشائي مثمن نشأ عن طريق توزيع الأعمدة والدعامات التي تجلس عليها العقود المدببة بطريقة تحول الفضاء المركزي المربع الى مثمن, مع استخدام المثلثات الكروية في تحويل القاعدة المضلعة الى دائرية. وكذلك الحال بالنسبة للقباب الأصغر في سقوف البلاطات الجانبية والرواق الأمامي للمصلى, إذ استخدمت فيها المثلثات الكروية, وقد وجدت أمثلة تشبهها في عمائر أناضولية تسبق المرادية. وقد كان جامع رستم باشا من الأمثلة التي تشبه جامع المرادية بوضوح من حيث العناصر الإنشائية, ولاسيما العقود والقباب –أشكالها ونمط توظيفها وطريقة انشائها.
- التشابه الواضح ظهر- على الرغم من صغر المقياس الذي ظهر فيه في المرادية- في استخدام نظام القبة التي تسندها قباب صغيرة من كلا الجانبين والتي سقفت المحفل في المرادية, إذ ترجع اصول هذا النظام الى العمارة البيزنطية السابقة للعثمانية في الأناضول والذي أجرى عليه سنان تطويرات كثيرة ظهرت في أبنيته التي شيدها.

أما الإختلاف على مستوى العناصر المعمارية- الإنشائية في المرادية عن المساجد المحلية السابقة فتمثل بـ:

- ظهر الإختلاف على مستوى الرواق الأمامي وطريقة اسناده وإطلالته على الصحن, إذ اعتمد في جامع المرادية على استخدام واجهة تضم دخلات وأواويين وفتحات, في حين ان العمارة العثمانية –الأناضولية اعتمدت استخدام بوائك تطل على الصحن من خلال اعمدة رشيقة تسند سقف الرواق الامامي من جهة الصحن.
- ظهرت خصوصية واضحة لعمارة المرادية عن الجوامع الأناضولية وتمثلت بنوع المادة البنائية, إذ كان الآجر والجص أهم المواد التي استخدمت في المرادية بينما اعتمدت العمارة العثمانية –الأناضولية على الحجر كمادة اساسية, ومن اسباب ذلك توفرالمادة البنائية في المنطقة وترسخ تقاليد البناء بها في الإقليم الذي يشيد فيه المبنى.
- ظهراختلاف مهم آخر في توظيف الأواوين في واجهة الرواق المطل على الصحن في المرادية, وهو مالم نجد له مثيلا في الأروقة المطلة على الصحن في الجوامع العثمانية الأناضولية, بينما وجدت أمثلة قريبة منها في العمائر الأناضولية السابقة للمرادية لكنها وضفت عادة في واجهة المدخل الرئيسي للجوامع أو المدارس وبسقوف بشكل قبو اسطواني أو قبة مقرنصة من الداخل وليس في واجهات المصلى الشتوي كما في المرادية.

ح- نتائج التحليل المقارن للخصائص على مستوى العناصر المعمارية- الإنشائية لجامع المرادية: أظهر التحليل المقارن أن خصائص الأعمدة والدعائم والعقود والقبوات والقباب أظهرت تشابها وبالتالي تواصلا مع خصائص نفس العناصر في الجوامع والمساجد المحلية السابقة, إذ لم تظهر تغييرات أساسية على خصائص تلك العناصر, وان التشابه الأوضح ظهر مع خصائص العناصر الإنشائية في جوامع القرون 6-8هـ, ولاسيما جامعي النوري ومجاهد الدين, وقد سبق الإشارة الى التجديد في تخطيط الجوامع العراقية والذي ظهرت أولى نماذجه في الجامعين المذكورين ومارافقه من تطويرات واضافات جديدة على مستوى العناصر الإنشائية ونمط التسقيف. كما ظهر التشابه أيصا لخصائص العناصر الإنشائية في المرادية مع خصائص مثيلاتها في الجوامع الأناضولية عامة (من حيث الشكل وموقع وطبيعة الإستخدام والتوظيف), ولاسيما العائدة لسنان كجامع رستم باشا.

وهنا أيضا يعتمد البحث التفسير الذي سبق تقديمة عند مناقشة نتائج التحليل المقارن على مستوى نمط التخطيط والذي أكد ان أصول هذه التشابهات مع عمارة الجوامع العثمانية الأناضولية تعود الى التجديدات والتغييرات التي حصلت في نمط تخطيط وتسقيف المساجد العراقية خلال القرون 6-8هـ إذ شهدت الفترة تأثيرات أجنبية سلجوقية –أناضولية الأصول, وقد كانت العمارة السلجوقية الأناضولية هي السلف الذي استندت عليه العمارة العثمانية الأناضولية لتواصل طريقها, دون أن نلغي دور التفاعل الحضاري الذي نجم عن الإحتكاك مع العثمانيين في حصول حالات تشابه, ولاسيما مع جوامع سنان, مما يدعم إحتمالية ان يكون التخطيط ونمط التسقيف بالقباب المركزية والقباب الثانوية وأنصافها احد تصاميم سنان وخاصة أنها تترافق مع فترة نشاطه كمعماري.

أما مواد البناء فقد كان تواصلها واضحا, إذ ظل الآجر والجص المستخدمين في العمائر العراقية منذ القدم مستخدما كمادة أساسية في جامع المرادية سواء على مستوى العناصر المعمارية أو الزخرفة والتزيين.

وأما الإضافات التي يمكن عدها تجديدات وابتكارات في مسيرة التواصل مع عمارة الجوامع والمساجد المحلية فتمثلت بواجهة الرواق الأمامي التي ظهرت بطراز لم يسبق رؤيته في الجوامع والمساجد المحلية السابقة ولافي الجوامع الاناضولية, إذ ظهرت ثلاثة دخلات تشبه الأواوين مسقفة بأنصاف قباب تجلس على حنايا وتضم صفوفا من المقرنصات. وهذا نمط جديد من التسقيف لمثل هذه الأواوين الجدارية التي وان وجدت في العمارة العراقية السابقة إلا أنها لم تظهر بمثل هذا الشكل التسقيفي وفي هكذا أماكن وبخاصة في الجوامع .

والإضافة المبتكرة الأخرى نجمت عن دمج خصائص محلية وأناضولية وتمثلت في استخدام القباب الصغيرة الحجم لتسقيف البلاطات الجانبية وكذلك الرواق الأمامي للمصلى وذلك بتقسيم هذه الفضاءات الى وحدات أصغر باستخدام عقود مدببة تجلس على أعمدة ودعامات مختلفة. وقد كانت هذه الطريقة في تسقيف البلاطات الجانبية تميز العمائر السلجوقية الأناضولية, كما في جامع سيرتSiirt 532هـ في الأناضول , وكذلك تميز الجوامع العثمانية الأناضولية ومن بينها جوامع سنان. وبالنظر لعدم وجود أدلة علمية لوجود سوابق لمثل هذا التسقيف للبلاطات الجانبية والرواق الأمامي في المساجد العراقية السابقة للمرادية فانه يرجح وفق مامتوفر

من معلومات أنها متاثرة بالجوامع الأناضولية, إلا أن هذه القباب وطريقة جلوسها على قواعدها المربعة باستخدام المثلثات الكروية والتي تحملها العقود المدببة المقامة على دعامات واعمدة تسندها لم يخلو منها تاريخ العمارة العراقية وأقرب أمثلتها قبة جامع النوري ومجاهدين وان كانت في الجامعين تغطي الفضاء الرئيسي, لذا جاءت هذه الإضافة الجديدة مبتكرة. أما الإضافة التي تعد تغيرا في مسيرة التواصل متأثرة بمثيلاتها في العمارة الأناضولية فتمثلت في استخدام القبة التي تسندها قباب ثانوية من الجانبين والتي ظهرت فوق المحفل في المرادية, إذ لم نجد مايسبقها في العمارة المحلية.

(أ) عقود وقبة المصلى في جامع مجاهد الدين [26]

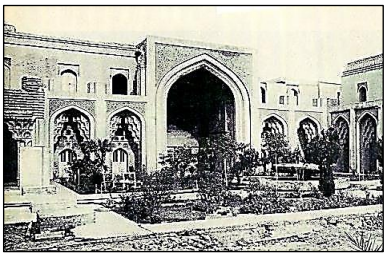

(ب) الساحة الداخلية للقصر العباسي- لاحظ العقود والإيوان والسقوف المقرنصة [34]

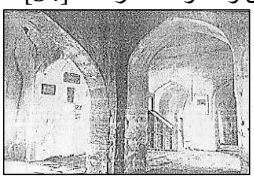

(ج) عقود المصلى في جامع مجاهد الدين [26]

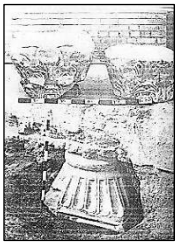

(ث) تيجان وقواعد أعمدة جامع الكوفة على عهد زياد [26]

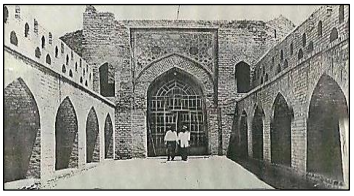

(ت) الباب الوسطاني [20]

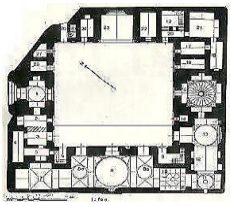

(خ) مخطط المدرسة المرجانية [26]

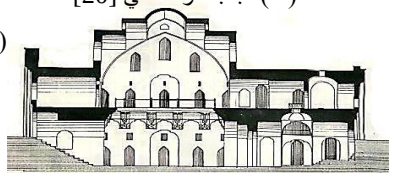

(ح) مقطع في خان مرجان [20]

شكل (9): خصائص العناصر المعمارية - الإنشائية للجوامع والمساجد المحلية السابقة للمرادية

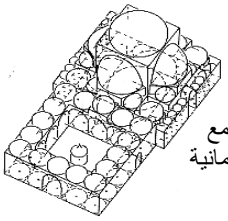

جامع السليمانية

(ب) سقف الرواق الأمامي لجامع رستم باشا [36]

(أ) أعمدة الرواق الأمامي لجامع رستم باشا [35]

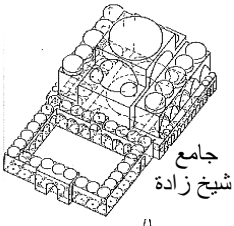

جامع شيخ زادة

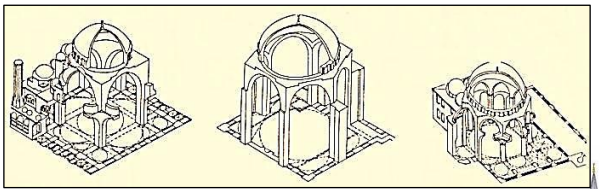

(ت) تنويعات الظلة المقببة domed baldaquin لدى سنان [25]

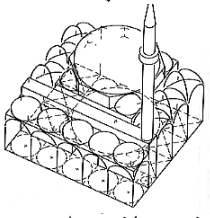

جامع رستم باشا

(ج) منظر من الداخل لجامع رستم باشا [37]

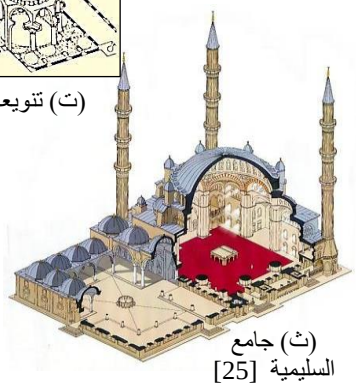

(ث) جامع السليمية [25]

(ح) القبة وتوزيعها في جوامع سنان [38]

شكل (10): خصائص العناصر المعمارية - الإنشائية فى الجوامع العثمانية فى الأناضول

جدول (1): خلاصة نتائج دراسة التواصل في عمارة جامع المرادية

مكونات جامع المرادية المنتخبة للدراسة				حالة التواصل				
				تواصل مع الأصول المحلية			تغير في مسيرة التواصل	الملاحظات
				الفترة المتواصل معها				
				تطبيق أو تطوير أساليب وتقنيات حديثة	القرون 1-5هـ	القرون 6-8هـ		
على مستوى نمط التخطيط	المصلى الشتوي القاعة المركزية المربعة-الثمانية المسقفة بقبة كبيرة-البلاطات الجانبية –طريقة تنظيم الأعمدة والدعائم الجدارية, موقع الرواق الأمامي, المداخل وطريقة تنظيمها,....الخ.			O	تواصل- محدود وعلى المستوى العام	تواصل قوي (عام وتفصيلي)		- رغم التواصل مع السوابق المحلية ظهر التشابه مع العمارة - العثمانية-الأناضولية وبالأخص الجوامع التي أنشأها المعمار سنان ولاسيما جامع رستم باشا في اسطنبول1561-1563م
	(المصلى الصيفي) الرواق الأمامي	تقسيمه لفضاءات ثانوية بواسطة العقود وتسقيف كل منها بقبة		O	تواصل محدود و عام جدا	تواصل نتج عن دمج وتركيب تقاليد محلية مع اجنبية		- تم دمج التقليد المحلي الخاص بوجود الرواق الأمامي المستطيل امام المصلى والعائد للقرون 6-8هـ مع تقليد أناضولي سابق يقسم هذا الرواق الى وحدات أصغر بواسطة العقود والمساند ليسقف كل منها بقبة صغيرة - رغم التواصل مع السوابق المحلية ظهر التشابه مع الجوامع العثمانية ولاسيما تلك التي أنشاها سنان وذلك على مستوى كل من تقسيم الرواق الأمامي الى وحدات أصغر تسقف بقباب صغيرة وكذلك الشكل العام المستطيل للرواق
		فكرة الأواوين في واجهة الرواق		O	تواصل محدود وعام على مستوى فكرة الإيوان	تواصل مع أواوين وواجهات أروقة أبنية محلية من أنماط وظيفية أخرى		- فكرة جديدة تمثلا اضافة وابتكار في مسيرة التواصل للجوامع والمساجد العراقية دون ان تسبب تغيرا في مسيرة التواصل
		الشكل العام لمخطط الرواق (مستطيل)		O	تواصل محدود وعام	تواصل قوي		- رغم التواصل مع السوابق المحلية ظهر التشابه مع العمارة العثمانية-الأناضولية وبالأخص جوامع المعمار سنان
	الفناء المفتوح			O	تواصل عام	تواصل وتشابه أكبر		- تواصل اوتشابه اقوى مع افنية الجوامع المحلية القرون 6-8هـ حيث صارت الأفنية أصغر وقد تحيط المصلى من أكثر من جهة وكذلك ظهر التشابه مع أفنية الجوامع العثمانية
على مستوى العناصر المعمارية-الرمزية	الأساسية - المئذنة			O		تواصل وتشابه واضح		- على الرغم من تشابه توقيع المئذنة بالنسبة للمصلى في كل من جامع المرادية وجامع رستم باشا في اسطنبول إلا أن مئذنة المرادية كعنصر معماري تظهر تشابها وتواصلا واضحا مع الخصائص الأساسية للمآذن العراقية السابقة لها
	الإنشائية	الأعمدة والدعائم		O	تواصل	تواصل وتشابه أكبر واوضح وخاصة بالنسبة للدعائم		- وجدت اعمدة رخامية اسطوانية بتيجان هرمية مقلوبة في جامع الكوفة السابق للمرادية. - الدعائم استخدمت في العمارة العراقية السابقة ولكن توظيف المنفصلة بالجدران والمنفصلة لاسناد القباب ظهر بوضوح في جوامع القرون6-8هـ - الإضافة الجديدة المبتكرة في المرادية كان استخدام الدعامات والجدران في واجهة الرواق الأمامي بدلا من الأعمدة كما في جوامع القرون6-8هـ وهو مالم يسبق في عمارة الجوامع العراقية ولكن وجد في أنماط أبنية محلية سابقة أخرى (كالمدارس) - خصائص الاعمدة والدعائم والعقود والقبوات والقباب أظهرت تشابها وبالتالي تواصلا مع خصائص نفس العناصر في الجوامع والمساجد المحلية السابقة وبالأخص العائدة للقرون6-8هـ - ظهر التشابه مع العمارة العثمانية-الأناضولية من حيث الشكل للعناصر الإنشائية ومن حيث موقع وطبيعة التوظيف والإستخدام لها - طُل الآجر والجص المستخدمين في العمائر العراقية السابقة المادة الأساسية في بناء المرادية - التغير في مسيرة التواصل تمثل باستخدام القبة التي تسندها قباب ثانوية وهي استعارة لعناصر ونظام تسقيف أجنبي بيزنطي, عثماني-أناضولي لم يسبق وجوده في العراق. - الإضافة المبتكرة
		العقود		O	تواصل	تواصل وتشابه أقوى وأوضح		- اظهرت عقود المصلى والرواق الأمامي للمرادية تواصلا واضحا مع عقود القرون 6-8هـ من حيث الشكل أو طريقة التوظيف
		القبوات		O	تواصل	تواصل		
	القباب	القبة الكبيرة فوق القاعة المركزية		O	تواصل	تواصل وتشابه أقوى وأوضح		- رغم التواصل الواضح مع السوابق المحلية ظهر التشابه مع العمارة العثمانية-الأناضولية وبالأخص الجوامع التي أنشأها المعمار سنان
		القباب الصغيرة فوق البلاطات الجانبية		O		تواصل نتج عن دمج وتركيب تقاليد محلية مع اجنبية		- تم دمج التقليد المحلي للقبة التي تجلس على عقود مدببة تجلس على دعامات واعمدة أسفلها لتسقف فضاءات مربعة والعائد للقرون 6-8هـ مع تقليد أناضولي سابق يسقف البلاطات الجانبية و الأروقة الى وحدات أصغر مربعة بواسطة العقود والمساند

						والرواق الأمامي		ليسقف كل منها بقبة صغيرة تجلس على عقود تحملها اعمدة ودعامات	الناتجه من دمج تقاليد اناضولية وعراقية ظهرت في تسقيف البلاطات الجانبية والرواق الأمامي بقبب صغيرة تجلس على عقود تحملها الأعمدة والدعائم أسفلها.
						القبة التي تسندها قباب نصفية من الجانبين	O	- كعناصر تسقيف وطريقة توظيف واستخدام لتسقيف المحفل لم يسبق وجودها في أي من الأنماط البنائية للعمارة العراقية السابقة للمرادية بمراحلها المختلفة في حين كان لها سوابق بيزنطية وعثمانية اناضولية	

6. الإستنتاجات

1.6. الإستنتاجات العامة

أ- التواصل في العمارة عامة, وعمارة الجوامع والمساجد بشكل خاص, وعلى المستوى الفيزياوي, يعني: "أن بقى خصائص المفردات والمكونات المعمارية الفيزياوية لتلك العمارة مستمرة, متتالية, متتابعة على مر الزمن من غير انقطاع أو انفصال أو تشويش. وبعبارة أخرى أن تستمر تلك الخصائص بدون تغييرات أساسية تلحقها تبعدها عن أصولها المحلية وتسبب تغيرا في مسيرة التواصل". أما متغيرات دراسة التواصل على مستوى المكونات المعمارية لأي عمارة وبخاصة عمارة الجوامع والمساجد فهي:

- تواصل مع الأصول المحلية والذي يضم المتغيرات الفرعية الآتية: مطابق لما سبقه أو يضم تطويرات بسيطة على السابق, أو يتواصل مع ماسبقه مع إضافات جديدة (تطويرات وتركيبات جديدة- ابتكارات على السوابق المحلية) لاتشكل تغيرات أساسية في مسيرة التواصل)
- تغير في مسيرة التواصل : وهي التغيرات الناتجة عن إضافات واستعارات جديدة من تقاليد غير محلية.

ب- يمكن إجمال المكونات الأساسية للجوامع والتي يمكن استخدامها لدراسة التواصل المعماري لها بكل من:
أولا: نمط التخطيط لمكونات الجامع الوظيفية الأساسية: وتشمل كلا من الصحن/الفناء, المصلى /الحرم أو بيت الصلاة, الأروقة, السياج, أماكن الوضوء, المكونات الخدمية, المكونات الإضافية(مكتبة وقاعة و...الخ).
ثانيا: العناصر المعمارية –الرمزية: وتشمل كلا من: العناصر الأساسية: المحراب, المئذنة, المنبر. والعناصر الإنشائية: عقود, قباب, قبوات, دعائم وأعمدة. عناصر إضافية وظيفية: المحفل, الأواوين والمحراب الصيفي. عناصر إضافية خدمية: الميضأة الخارجية, الشذروان. وأخيرا العناصر التكميلية والتشكيلية: وتشمل معالجات السطوح والجدران والزخارف بأنواعها والخط والمقرنصات والخسفات, ...الخ.

ت- ان التحليل المقارن لخصائص مكونات العمارة المراد دراسة التواصل فيها مع خصائص نفس المفردات في كلا العمارتين المحلية السابقة والأجنبية وسيلة موضوعية للكشف عن التواصل وطبيعته في العمارة المدروسة.

2.6. الإستنتاجات الخاصة بجامع المرادية

أ- بشكل عام أظهرت مكونات عمارة جامع المرادية تواصلا مع مكونات وتقاليد العمارة العراقية السابقة لجامع المرادية ولاسيما عمارة الجوامع والمساجد وذلك على مستوى كل من المفردات المنتخبة للدراسة وهي: نمط التخطيط لمكونات الجامع الوظيفية الأساسية, والعناصر المعمارية الرمزية –الأساسية (المئذنة) والإنشائية (الأعمدة والدعائم والعقود والقباب والقبوات). والحالة الوحيدة التي ظهر فيها تغير في مسيرة التواصل نتيجة استعارة واضحة ومباشرة من تقاليد عثمانية- أناضولية ظهرت على مستوى العناصر المعمارية الرمزية –الإنشائية وبشكل أدق على مستوى القبة الصغيرة التي تسقف المحفل وتسندها أنصاف قباب صغيرة من الجانبين. أما بقية المكونات المدروسة على مستوى نمط التخطيط والعناصر المعمارية الرمزية- الاساسية والإنشائية- فان التواصل فيها تنوع مابين تطويرات بسيطة وأخرى جديدة مبتكرة

باضافة أو تركيب خصائص مكونات محلية أو محلية وأجنبية معا دون حصول تغير أساسي عن السوابق المحلية لذا لايمكن عدها تغييرات أساسية في مسيرة التواصل مع تلك السوابق.

ب- ان خصائص مكونات جامع المرادية المدروسة كانت أكثر وأقوى وأوضح تواصلا مع خصائص مكونات عمارة الجوامع والمساجد العراقية العائدة للقرنين6-8هـ من تلك العائدة للقرون الخمسة الأولى للهجرة.

ت- ان وجود أمثلة لنماذج مساجد وجوامع سلجوقية في الأناضول يسبق تاريخ بنائها جامعي النوي ومجاهد الدين في العراق والعائدان للقرن 6هـ (حيث خضع العراق خلالها لسيطرة سلالات أجنبية أبرزهم السلاجقة) وتحمل نفس نمط تخطيط وخصائص العناصر المعمارية الإنشائية للجوامع والمساجد العراقية خلال القرون 6-8هـ تشير الى التأثير السلجوقي- الأناضولي على عمارة هذه المساجد خلال تلك الفترة.

ث- ان هناك تفسيران مترابطان لوجود تشابه بين خصائص المكونات المدروسة في جامع المرادية وتلك التي تناظرها في الجوامع والمساجد المحلية السابقة للمرادية والعائدة للقرون 6-8هـ أو التي وجدت في الجوامع العثمانية- الأناضولية, وهما:

- الأول, ان العمارة العثمانية- الأناضولية مؤسسة على تقاليد معمارية سلجوقية- أناضولية سبقتها في الأناضول, علما أن السلالتان تترابطان بأصول عرقية مشتركة, لذلك فان التشابه بينهما وارد مع الأخذ بالإعتبار مايحمله الزمن من اضافات وتغييرات وتطويرات. وماسبق يفسر التشابه الذي ظهر بين خصائص مكونات عمارة الجوامع العثمانية- الأناضولية والجوامع والمساجد العراقية العائدة للقرون 6-8هـ في العراق, لاسيما جامعي النوري ومجاهد الدين. ومن ناحية أخرى فان ماسبق يفسر أيضا التشابه بين خصائص مكونات جامع المرادية والذي يعد امتدادا لجوامع ومساجد القرون 6-8هـ في العراق والمتأثرة بعمارة المساجد السلجوقية وبين خصائص نفس المكونات في الجوامع العثمانية- الأناضولية.
- الثاني, لايمكن نفي حصول تفاعل حضاري نتيجة السيطرة الأجنبية –العثمانية على العراق والتي تؤكد الطروحات زدياد إمكانية حصوله وزيادة درجة تأثيره على عمائر المناطق المسيطر عليها وبالأخص اذا كان أحد الطرفين مُسيطِرا والآخر مُسيطَر عليه. وتبعا للمعلومات التي تذكرها المصادر فان أبنية الجوامع العراقية, ومن بينها جامع المرادية, خلال فترة الحكم العثماني كانت تشيد عادة بأمر ورعاية من الولاة الأجانب أنفسهم, وهو نهج التزم به الولاة العثمانيين في جميع الأقاليم التي خضعت للسيطرة العثمانية ومنها مصر وسورية. وفي إطار هذا التفسير ونتيجة للتشابه الواضح على مستوى نمط التخطيط والعناصر المعمارية الإنشائية بين جامع المرادية والجوامع العثمانية العائدة لسنان والتي برز من بينها جامع رستم باشا في اسطنبول الذي سبق إنشائه جامع المرادية بتسع سنوات تظهر إحتمالية صحة الطرح الذي أشار الى أن تصميم الجامع هو أحد التصاميم التي وضعها معمار الإمبراطورية سنان في اسطنبول والتي أرسلت الى بغداد لتنفذ دون اشراف مباشر منه وذلك اسوة بالمشاريع العديدة –سواء أبنية جوامع, مدارس, تكايا,...الخ- والتي شيدتها السلطة العثمانية عموما, ومن خلال أعمال سنان بشكل خاص, في الأقاليم العربية التي خضعت لسيطرتها, كما حصل في بلاد الشام (التكية السليمانية, جامع السلطان سليمان , ...) ومصر (مسجد سليمان, مسجد صفية,....) .

ج- توصل البحث الى عدم دقة الطروحات السابقة –كطروحات القصيري- التي أشارت الى أن نمط التخطيط المركزي ذو القاعة الرئيسية (بلاطة المحراب) المسقفة بقبة كبيرة تجلس على عقود مرفوعة على دعامات وأعمدة متصلة للجوامع ظهر استخدامه لإول مرة في العراق في بناء المساجد خلال الفترة العثمانية, إذ ظهر ان هذا النمط التخطيطي والإنشائي وجدت سوابق له مهدت له تمتد الى مساجد القرون 6-8هـ, ولاسيما جامعي النوري ومجاهد الدين اللذان يمثلان أولى النماذج التي تحمل الخصائص الجديدة.

ح- ان لطبيعة الإقليم او المنطقة التي يشيد فيها الجامع دور أساسي في تحديد نوع المادة البنائية المستخدمة في الإنشاء والزخرفة والتزيين على الرغم من السيطرة الأجنبية وماينجم عنها من تأثيرات, إذ ظل الآجر والجص مادة البناء الأساسية والتي استمر استخدامها منذ أقدم العصور التاريخية في العراق وحتى تشييد جامع المرادية . وما سبق يؤكد ان المادة الانشائية المستخدمة للبناء والتي ترتبط بطبيعة الإقليم من المفردات المعمارية الأكثر مقاومة (الأقل تاثرا) بما ينجم عن عمليات التفاعل الحضاري بين الشعوب والأقوام من تأثيرات على تقاليد عمارة المنطقة التي يحصل فيها التفاعل.

7. التوصيات

- إعداد دراسات تبحث في التواصل في أنماط أبنية متنوعة تعود الى فترات مختلفة من تاريخ العمارة العراقية.
- إعداد دراسات تبحث في التواصل على مستوى الزخارف والتزيينات في عمارة الجوامع والمساجد.
- الاهتمام باعداد دراسات تبحث في أثر العمارة العراقية على عمارة الشعوب التي حصل معها تفاعل حضاري سواء بنتيجة السيطرة العسكرية والإحتلال أو التجارة أو التجاور الجغرافي والعكس أي اعداد دراسات حول أثر عمارة الشعوب التي حصل معها تفاعل حضاري سواء بنتيجة السيطرة العسكرية والإحتلال أو التجارة أو التجاور الجغرافي على العمارة العراقية.

8. المراجع

1. الآلوسي, السيد محمود شكري (1857-1924م). *"تاريخ مساجد بغداد وآثارها"* , عبدالله الجبوري, 2006م, بغداد.
2. عبد الحميد عبادة (مطلع القرن العشرين). "العقد اللامع في آثار بغداد والمساجد والجوامع", تحقيق وتعليق: عماد عبد السلام رؤوف. مطبعة أنوار دجلة, الطبعة الأولى, 2004م, بغداد, العراق.
3. الأنصاري, رؤوف محمد علي (2015). "المساجد العثمانية في بغداد.. استوحت السمات المميزة للعمارة". صحيفة صوت العراق الألكترونية. [28-6-2015]. [Cited: 30/3/2016] http://www.sotaliraq.com/mobile-item.php?id=187394#axzz43H7rA07a
4. عيسى سلمان وآخرون (1982). *"العمارات العربية الإسلامية في العراق-الجزء الأول"*. دار الرشيد للنشر, بغداد, العراق.
5. القصيري, اعتماد (1981). *"مساجد بغداد في العهد العثماني-جزء-1-"*. أطروحة دكتوراه, قسم الآثار الإسلامية, كلية الآثار, جامعة القاهرة, القاهرة, مصر.
6. العامري, شذى عباس(2010). "التواصل في عمارة الفضاء الرافديني". أطروحة دكتوراه, قسم هندسة العمارة, كلية الهندسة, جامعة بغداد, العراق.
7. Saatçi, Subhi(2008). "*Mimar Sinan Bağdat'taki Eserleri*", In Internasyional Symposium on BAGHDAD (MADENAT al–SALAM) in Islamic Civilization, 7-9 November, 2008, Istanbul, Turkye, pp.343361
8. ياسمين قصي (2015). "التتابع التاريخي للطرز المعمارية في بغداد". رسالة ماجستير, قسم هندسة العمارة, كلية الهندسة, جامعة بغداد, العراق.
9. إبن منظور. وصل - لسان العرب. الباحث العربي. [Cited: 30/3/2016] http://www.baheth.info/all.jsp?term=
10. قاموس المعاني- معجم عربي عربي, تواصل. المعاني. [Cited:28/4/2016] http://www.almaany.com/ar/dict/ar-arتواصل/
11. Oxford Dictionaries. Continuity. oxforddictionaries.com. [Cited: 1/4,2016] http://www.oxforddictionaries.com/definition/english/continuity
12. Merrian Webster. Continuity. merriam-webster.com. [Cited: 30/3/2016] http://www.merriam-webster.com/dictionary/continuity
13. Edwardes, Paul (1967). *"The Encyclopiedia of Philosophy".*Vol. 2, New York .
14. جنان عبد الوهاب(2002م) . *"جدلية التواصل في العمارة العراقية"*. أطروحة دكتوراه, قسم هندسة العمارة, كلية الهندسة, جامعة بغداد, العراق.
15. زنكنة, فينوس سليمان (2002)*."التغير في العمارة"*. أطروحة ماجستير, قسم هندسة العمارة, الجامعة التكنولوجية, بغداد, العراق.

16. Ali, Asif (2012). "*Mosque Architecture in Delhi: Continuity and Change in its morphology*". ATEET; Special Issue, Dec. 2012, ISSN 2249-1252, pp.40-57
17. محمود زين العابدين (2006). *"عمارة المساجد العثماني"*. دار قابس للطباعة والنشر, الطبعة الأولى, لبنان, بيروت.
18. العمري, حفصة رمزي (1989). *"عمارة المساجد الحديثة في العراق"*. رسالة ماجستير, قسم هندسة العمارة, كلية الهندسة, جامعة بغداد, العراق.
19. العزاوي, عباس. *"موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين- العهد العثماني الأول"*. المجلد الأول. الدار العربية للموسوعات, ص138.
20. Al-Janab, Tariq Jawad(1983). "*Stidies in Mediaval Iraqi Architecture*", Ministry of Culture ana Information, State Organization of Antiquities and Heratage, Baghdad.
21. Kuban, Dogan(1987). "*The Style of Sinans Domed Structure*", In MuqarnasIV: An Annual on Islamic Art and Architectur, Edited by Oleg Grabar. Leiden: E.J. Brill, pp.73-97.
22. Erzen, Jale.(1986)."*Stylistic Evolution of Ottoman Mosque Facades in Sinan Era*". O.D.T.U. Mimarlik Fakultesi Dergisi,Cilt 7,Sayi 2,Bahar 1986,pp.105-126.
23. Güngör,I, H.(1987). "*The Dome in Sinan s Work*", In Invironmental Design: Journal of Islmic Environmental Design Research Center 1-2, edited by Attilo Petruccoli, pp.156-167.
24. Freely, John(2000). "*Blue Guide Istanbu*"l, W. W. Norton & Company. ISBN 0-393-32014-6
25. Kuban, Dogan(2007). "*OTTOMAN ARCHITECTURE*". Translateed by: Adair Mill, Antigue Collections Club Ltd, Published in England by the Antique Collections Club Ltd, Woodbridge, Suffolk, IP12 4sD, 2010 .
26. شريف يوسف (9821). *"تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور"*. منشورات وزارة الثقافة والإعلام (الجمهورية العراقية)، دار الرشيد للنشر، السلسلة 49, بغداد, العراق.
27. القصيري, اعتماد (1981). *"مساجد بغداد في العهد العثماني-جزء-2-"*. أطروحة دكتوراه, قسم الآثار الإسلامية, كلية الآثار, جامعة القاهرة, القاهرة, مصر.
28. RÜSTEM PAŞA CAMİİ.IM MIMARLIK RESTORASYON DEKORASYON. [On line] IM MIMarlik. [Cited: 14/4/ 2016]. http://www.immimarlik.com.tr/referanslar.asp?islem=detay&KatID=24&KatID1=7
29. Sevil, Cihan. Rustum Pasha Mosque. Magistic Istanbul. 31/12/2014. [Cited: 14/4/2016]. http://www.majesticistanbul.com/rustem-pasha-mosque-istanbul/
30. Necipoglu, Gülru(2005). *"The Age of Sinan: Architectural Culture in the Ottoman Empire*". London: Reaktion Books, 2005. http://archnet.org/sites/2017/media_contents/42987#
31. Aslanapa, Oktay(1971). "*Turkish Art ana Architecture*". Faber and Faber Limited, 2 Queen Square, London.
32. مرقد نبي الله ذي الكفل (ع) ومسجد النخيلة التاريخي. Alnukhailah. [Cited 14/4/2016]. http://alnukhailah.iq/view.php?id=117

33. الدراجي, حميد محمود حسن(2007). *"الأعمدة والتيجان في العمارة التراثية". دائرة التراث العامة*. دار المرتضى.
34. مصطفى جواد وآخرون (1961). *"بغداد"*. الناشر: نقابة المهندسين العراقيين, مؤسسة رمزي للطباعة.
35. Wikipedia The free evcyclopedia, Rüstem Pasha Mosque , [online], 30/10/2015, [Cited: 20/4/2016]. https://en.wikipedia.org/wiki/R%C3%BCstem_Pasha_Mosque
36. Tom Brosnahan. Rüstem Pasha Mosque, Istanbul. Turkey Travel Planner. [on line] [Cited: 20/4/2016]. http://www.turkeytravelplanner.com/go/Istanbul/Sights/GoldenHorn/rustempasa.html
37. Istanbul: Rüstem Pasha Mosque. Flickr. [online], Taken on July 26, 2011 [Cited: 19/4/2016] https://www.flickr.com/photos/zug55/6093047794
38. Özer, Bülent(1987). "*The Architect of Dmed Mosques as a Master of Pluralism*". In Enviromental Design: Jornal of the Islamic Environmental Design Research Center 1-2< editedby Attilo Petruuioli, Carucci Ediions, pp. 146-156.